

جاك دريدا

مواقف

حوارات

ترجمة وتقديم
فريد الزاهي



دار الفكر للنشر



mohamed khatab

جاك ديريدا

مواقف

حوارات مع جاك ديريدا

هنري رونس - جوليا كريستيفا - جبي سكاريتا - جان لوي هودين

ترجمة و تقديم

فريد الزاهي

دار توبقال للنشر

عمارة معهد التسيير التطبيقي - ساحة محطة القطار

بلقدير - الدار البيضاء 05 - المغرب

الهاتف : 24.06.05.12

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
المعرفة الفلسفية

الطبعة الأولى، 1992
جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع القانوني: 1992 / 740
التصنيف : الصحراء للطباعة والنشر
27 حي ابن سينا - الشقة 1 - الرباط

تقديم

ليس مرمى هذا التقديم أن يكون مدخلا لكتابات جاك دريدا، فالحوارات المترجمة هنا كافية للتكفل بعناء هذه المهمة (١)، إنما نروم هنا فقط الحديث عما يجعل ترجمتنا المقترحة هذه مدخلا للعبة الكتابة ولعبة المواقع في نصوصه.

تشكل كتابات جاك دريدا قراءة "شاملة" للفكر الغربي في خصائصه ومكوناته الأساسية التي عليها يقيم صرحه وانطلاقاً منها يرمي بامتداداته. إنها قراءة تنطلق عادة من موقع (2) تساؤل معين (وليكن الكتابة أو الأثر أو الاسم الشخصي أو التوقيع أو السيرة الذاتية...) لتبدأ رقعة الترابطات تتوسع، ولتتبدى معها مساحة التفكير والتفكيك شاسعة بقدر شساعة حقول وقضايا الميتافيزيقا. ففضية الكتابة - مثلاً - تصبح البؤرة التي

١، باعتبارنا لهذه الحوارات مدخلا أولياً لكتابات دريدا الأولى (1962 - 1972) نكون قد أعطيناها أحد أبعادها الأساسية. نحيل أيضاً إلى مقدمتي محمد علال سناسر و كاظم جهاد لكتاب جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، الصادر عن دار توبقال للنشر سنة 1988 وإلى:

- François WAHL, Qu'est-ce que le structuralisme? 5. Philosophie, Seuil, col. Points, 1973.

- Daniel Giovanageli, Ecriture et répétition, Approche de Derrida 10/18, 1979.

- Vincent DESCOMBES, Le Même et l'autre, 50 ans de philosophie française (1933-1978), Minuit, 1979.

- Claude LEVESQUE, L'Etrangeté du texte Essai sur Nietzsche, Freud, Blanchot et Derrida, 10/18, 1978.

- Sarah Kofman, Lectures de Derrida, Galilée, 1984.

2، فضلنا ترجمة كلمة positions بـ: مواقع لأن المدلول الثاني للكلمة (مواقف) يوحى بالتموقف مع أو ضد، وهي حالة تحيل إلى ثنائية لن يفيد الحل الهيغلي في الخروج منها. أما المدلول الذي اخترناه فإنه يحيل إلى ويلع على فضائية الكتابة (الهامش، التباعد، الفاصل...) و أيضاً إلى إمكانية الحركة داخل فضاء الاستراتيجية التفكيكية لـ "مشروع" دريدا.

من خلال حساسيتها تتم مسألة فكر الدليل *signe* من أفلاطون إلى سوسور والبنوية مروراً برُوسُو وهيجل وهوسرل . . . ووضع اليد على وضعية الكتابة في هرمية التسلل الميتافيزيقي لمكونات الدليل وحوافزها، ومن ثم على المؤديات التي تحملها مفاهيم من قبيل التمثيل والتعبير . . . الخ.

إن تساؤلات دريدا تبدأ دائماً من موقع الهامش، أو مما يُعتبر كذلك لا لتعيده - عبر التحليل - إلى موقع المركز، وإنما لتجعل منه موقعا ممكنا للكتابة وفضاء فعلياً للنص والتفكيك. وبهذا المعنى فإن الحوارات التي يتضمنها هذا الكتاب تقترح نفسها كهوامش تطرح قضايا ونصوصاً هي بدورها جاءت لتكون هوامش للقراءة على نصوص أخرى (أفلاطون وروسو وهيجل وهيدجر وأرطوباطي . . .) إن هذه السلسلة المحكمة الترابط تمكن الهامش من أن يكون مغرساً في صلب القضايا الأساسية التي ينهض عليها الفكر في الغرب، ونصاً متداخلاً مع أشكال كتابته ("أدبا" و"فلسفة" و"بلاغة" . . .).

وإذا نحن تجاوزنا التعارض البسيط بين الشفوي والمكتوب، بل إذا نحن اعتبرنا التمييز بين النصي *textuel* والموازي النصي *paratextuel* إجرائياً فقط، فإننا سنقرأ هذه الحوارات بدورها باعتبارها نصوصاً، لا تقلت طبعاً من ضرورات الارتجال والإجابة اللحظية إلا أنها تحافظ على ما يجعلها تصبح قائمة بذاتها (3). إنها لذلك حوارات موازية للنصوص التي تفكرها، تمنح من قوتها وتضيف إليها من معناها، كما أنها في كثير من الأحيان تفيض في طروحاتها عما جاء في الأبحاث التي تتمحور حولها. (انظر الحوار الثالث من هذا الكتاب مثلاً).

حين يحضر المحاور بفكره النقدي وتجربته الثقافية فإنه يصبح مُشاركاً في النص وليس مجرد حافز خارجي له. فجوليا كريستيفا وجان لوى هودوين . . . لم يكتفيا بأسئلة توضيحية لكتابة متراكمة في نظمها ودلالاتها وإنما جعلوا من الحوارات مجالاً للملازمة الوجود الكامل لنصوص دريدا سواء في طابعه الكتابي أم في نوعية إحالاته وفجواته. من هنا، تأخذ هذه الحوارات أهميتها، باعتبارها من جهة مسحاً نقدياً لمجمل القضايا التي تطرحها "المرحلة الأولى" من كتابات جاك دريدا ومدخلا أولياً لقراءتها،

(3) حين سألته عن إمكانية اعتبار هذه الحوارات بدورها نصوصاً، أجابني جاك دريدا بالإيجاب، خصوصاً وأن الحوارات خضعت للمراجعة من طرفه وأغيت بهوامش وإحالات لسد الثغرات التي تركها الارتجال مفتوحة.

وباعتبارها من جهة أخرى دعوة لقراءة النصوص التي تشكل موضوعها ومن منظورات جديدة وأكثر نقدية .

تشكل هذه الحوارات - ومعها كل نصوص دريدا - عبر مداورة الكلمات والمفاهيم وانتقاد محمولاتها وعدم الاستسلام لعُرفيتها . إنها واعية كل الوعي بهذا الشرط الخاص ، الشيء الذي يجعلها تفكر قضاياها وموضوعاتها داخل اللغة التي بها تصوغها ، وبدون أن تترك تلك اللغة مجرد وعاء لها .

هذه العملية المركبة تكتب نفسها بموازاة تامة وتداخل مُحكم مع التفكير الذي تمارسه لغة وأسلوب وموضوعات الفكر الميتافيزيقي . ولذلك فإنها تتحول إلى كتابة مليئة بالحيل والحذر ، كتابة صعبة الإمساك ، متعددة ومنفلتة من أي تحديد هيرمينوسي .

لكل هذا لا يمكن للترجمة أن تنسلخ عن هذه الخصائص التي عبرها تقدم لنا نصوصُ دريدا نفسها ، بل من الصعب على لغة لا تنتمي للدائرة اللسانية التي يُفكر بها وعبرها دريدا أن تستوعب كل هذه "الكومة" من القضايا ذات الطابع النصي - الشكلي . فإذا كان النص المترجم يمتح مضامينه من لغة (أولغاته) فإن النص المترجم مُطالبٌ - منطقياً - أن يستمد مقوماته بدوره من اللغة (أولغات) التي إليها ينتمي . عن هذا سينتج - منطقياً أيضا - نصان متباينان كل التباين في توجهاتهما ونتائجهما وسيستحيل الفاصل بين النصين إلى هوة حقيقة غير قابلة للالتئام . لذلك نستطيع القول بأن ترجمة نصوص دريدا هي مجرد إمكانية تحيل ضرورة إلى النص "الأصلي" وتستقر فيه ، ولا يكون ذلك أبداً تقديساً لأولوية النص الأصلي وإنما فقط توزيعاً لحصّة اللغات والألسن في الكتابة والكتابة - الترجمة ، خصوصاً وأن نصوص دريدا بدورها قراءة وترجمة (تحويل) لنصوص غائبة عنها أو حاضرة فيها . إن عملية التوزيع هذه ، سواء في سماتها اللسانية أو الفكرية ، هي ما يجعل من ترجمة نصوص دريدا مغامرة مزدوجة :

أولاً : لأن الدال اللساني فيها يتحول - عبر عملية انتهاك وخرق - لا يزال دريدا يمارسها لحد الآن - إلى مفهوم مُحدّد بعنف ذاك الانتهاك وبعنف كتابته ، ولأنه يخضع ل "شعرية" معينة تمكنه من أن يتحكم في نص له صياغته الدقيقة ومسارب خاصة لشكل كتابته . هذه الصياغة ذات الطابع المّثالي أحياناً - كثيراً ما تفتح نفسها على نفسها وتجعل من قضية الصياغة مسألة كتابة ومسألة فكر وجود .

ثانياً: لأن هذه الخاصية، التي تبدو ذات طابع شكلي، هي في الحقيقة وفي نفس الآن، مضمون النص أيضاً، سطحه وعمقه معاً. وهذا ما يؤدي بكتابة دريدا إلى الانغراس في نصوص متعددة تسائل فيها انغلاقها وانفتاحها (لكتاب من حقب تاريخية ومن توجهات مختلفة) وإلى محاذاة ونقد وتفكيك حركات فكرية وثقافية متباينة في إطارها الاستمولوجي (فلسفة، أدب، علوم إنسانية...) ولعلها بهذا العبور عمود نفسها وتوضّح "الإطار" الفكري والتاريخي الذي من داخله تنبثق.

إن هذه الحركة وهذا التشكل الفيسفائي - الذي نلمسه أيضاً في هذه الحوارات - هو ما يدعوا لترجمة - أية ترجمة - إلى أن تتحمل مسؤولية هذا الطابع البلوري، ويدعوا للقراءة - عادية كانت أو نظرية - إلى أن تكون بدورها حذرة وأن تضاعف من يقظتها...

فريد الزاهي

مكناس . أبريل 1989

مؤديات *

حوار مع هنري رونس

■ صرّحت في ملاحظة ختامية لمؤلفك " الكتابة والاختلاف :

"إن ما تبقى من تحويل سؤال ما يشكل بالتأكيد نسقا" . ألا ينسحب هذا أيضا على

مجموع مؤلفاتك . كيف تنتظم هذه الأخيرة فيما بينها؟

□ إنها كتحويل وكتحويل للسؤال تشكّل بالفعل نسقا منفتحا حقا على معين لا

ينضب بمنحها لعبتها . والملاحظة التي أشرت إليها تستدعي أيضا ضرورة هذه الـ

"بياضات" التي غدت ، على الأقل منذ مألزمي تمارس أهميتها في كل نص .

■ رغم ذلك فإن هذه المؤلفات لا تشكل كتابا واحداً .

□ نعم ، إن ما يتم خلخلته في ما أسميته مؤلفاتي هو أولاً وحدة الكتاب والكتاب

كوحدة منظوراً إليها ككل متناسق ، مع ما يفصح عنه هذا المفهوم من مؤديات . وأنت تعرف

أن هذه المؤديات تلزم ، من قريب أو من بعيد ، ثقافتنا في كليتها . ففي الحين الذي يرسم هذا

الانغلاق لنفسه حدوده كيف ستتجرا نحن على اعتبار أنفسنا مؤلفي كتب ، ثلاثة كانت

أو واحداً أو اثنين؟ فالمقصود هنا بهذه العناوين هو فقط " عملية " نصية (إذا صح القول)

وحيدة واختلافية ليس لها من بدء مطلق وتبدد في قراءة نصوص أخرى؛ كما أنها لا تحيل بالرغم من ذلك على أية صورة سوى كتابتها الخاصة. وما يلزمنا الآن هو البحث عن شكل لتفكير هاتين الموضوعتين المتناقضتين معاً. فنحن لا نستطيع إذن أن نتمثل التنظيم الداخلي لهذه الأعمال بشكل خطي أفقي واستنباطي تمثيلاً مع "نظام سببي" معين. ذلك أن هذا النظام نفسه خاضع للخلخلة بالرغم من أن مرحلة كاملة من نصوصي تبدو متوافقة مع متطلباته، على الأقل بشكل سيمولاًكري، ولكي يتم إدماج تلك المتطلبات بدورها في تركيب لا تتحكم هي فيه. وينبغي، كما تعرف، قراءة وإعادة قراءة أولئك الذين على هديهم أكتب وكذا قراءة "الكتب" التي على هامشها وبين سطورها أرسم وأفك الغاز نصّ مشابه لها ومختلف عنها في نفس الآن، نصّ أنا متردد - ولأسباب وجيهة - في تسميته مقطّعياً fragmentaire (1).

■ لكن كيف نحاول بالفعل، أو على الأقل نظرياً، قراءة من هذا القبيل؟

لا يمكن الإمساك بـ في علم الكتابة كبحث طويل يتمفضل في جزئين تكون لحمتها نظرية ونسقية لا تجريبية، وفي وسطه نستطيع أن نسفر brocher الكتابة والاختلاف لأن الأول لا يني يحيل على الثاني. وفي هذه الحالة ستكون القراءة التأويلية لرؤس (2) الفصل الثاني عشر من هذه المجموعة. ومن وجهة معاكسة نستطيع أن ندمج في علم الكتابة في قلب الكتابة والاختلاف ما دامت ستة نصوص من الكتاب الأخير سابقة حقاً وفعلاً على المقاولات التي تعلن عن ميلاد كتاب "في علم الكتابة"، وبما أن الخمسة الأخيرة منها، بدءاً من "فرويد ومسرح الكتابة" تدخل في الانفتاح الجراماتولوجي*، إلا أن مسار الأمور لا يمكن إعادة تركيبه ببساطة بالشكل الذي يمكن أن تتخيله. على كل حال

(1) تحيل المقطعية أو الشذرية إلى مفهوم التشتيت كما بلوره دريدا في البحث و الكتاب اللذين يحملان نفس العنوان. إلا أنه من المفيد الإشارة إلى أنه يحيل أصلاً إلى مفهوم الكتابة المقطعية كما اقترحه بلانشو في الكتاب الآتي وكما طوره وعممه في حصّة النار و كتابة الكارثة. إن اهتمام دريدا بتصور بلانشو للكتابة يبدأ مع الكتابة و الاختلاف لياخد، راهنا حجمه الحقيقي بكتاب خاص عنه: نواحي parages، جاليليه، 1986.

(2) يعني ج. دريدا الجزء الثاني من كتاب في علم الكتابة الذي يحمل عنوان: "طبيعة، ثقافة، كتابة" وهو مخصص لتحليل موقع الكتابة في المنظومة الفكرية لجان جاك روسو.

* حين تأتي كلمة علم الكتابة grammatologie نعتاً أو دنة فإننا نحافظ لها على صيغتها الاصلية تسهلاً للترجمة.

يتداخل المُجَلَّدَانِ الواحد في قلب الآخر ، وهذا يحيل - وهو ما ستتفق معي فيه - إلى هندسة غريبة تكون هذه النصوص بدون شك معاصرة لها .

■ وماذا عن كتابك الصوت والظاهرة ؟

□ لقد نسيت أن أقول بأنه البحث الذي اعترز به أكثر من غيره . قد أستطيع أن أجعل منه هامشاً ^{note} طويلاً للعمل الأول أو الثاني . ف في علم الكتابة يحيل عليه ويقتصد تطوره . لكن إذا تعلق الأمر بعممار فلسفي فإن الصوت والظاهرة سيأتي في المقام الأول ، إذ فيه (وهذا ما لا أستطيع تفسير دواعيه حالياً) يتم في نقطة حاسمة على المستوى الحقوقي طرحُ مسألة الاهتمام البالغ بالصوت والكتابة الصوتية في علاقتها بالتاريخ العام للغرب ، وكما سيتم تمثيلها في تاريخ الميتافيزيقا في شكلها الأكثر حدائنة ونقدية وحذراً ، أعني الفينومينولوجيا المتعالية لهُوسَرل .

ماذا نعني " بإرادة القول " ؟ ما علاقتها التاريخية بما نعتقد الإمساك به باسم " الصوت " كقيمة للحضور : حضور الموضوع ، حضور المعنى للوعي والحضور لذاته في الكلام (المسمى) حياً وفي الوعي بالذات ؟ يمكن قراءة البحث الذي يطرح هذه الأسئلة باعتباره الوجه الآخر (الأول أو الثاني ، كما تشاء) لبحث آخر نشر سنة 1962 كمقدمة لترجمة أصل الهندسة لهُوسَرل . لقد كانت إشكالية الكتابة قد تبلورت فيه بالشكل الذي هي عليه حالياً في ارتباط مع البنية غير القابلة للاختزال لفعل خَالَفَ/اِخْتَلَفَ differer وفي علاقته بالوعي والحضور والتاريخ وتاريخ العلم وكذا بغياب أو إرجاء الأصل .

■ لقد طلبتُ منك من أين البدء وأنت سجتني في متاهة .

□ إن كل هذه النصوص هي بدون شك المدخل اللامُتَّهِي لنص مغاير أودُ لو أمثلتُ يوماً القدرة على كتابته ؛ إنها مجرد تصدير pigraphe ، لنص آخر لن أمثلتُ الجُرأة على كتابته . ولذا فهي ليست بالفعل سوى تعليق على جملة قائمة على متاهة من الأرقام ، جملة تصدر بالشرح كتاب الصوت والظاهرة .

■ كل هذا يُفْضِي إلى مسألة تعذر قراءتك ، أعني قراءة " أمثلتك " المفضلة (رُوسُو ، أرطو ، باطاي ، جابيس . . .) ، إنها مسألة علاقة الفلسفي باللافلسفي . وما يشد

انتباهنا منذ البداية هو صعوبة موضوعة أسلوب تعليقك في مجال معين . بل يبدو تحديد وضعية معينة لخطابك شيئاً أقرب إلى المستحيل . لكن ، هل نجازف بالقيام بذلك ؟ ألا يسقطُ هذا السؤال نفسه في دائرة المتافيزيقا ؟

□ إنني أحاول الوقوف عند حد الخطاب الفلسفي . أقول حداً لا موتاً . ذلك اني لا أومن مطلقاً بما شاعت تسميته راهناً بموت الفلسفة (بل لا أومن بكل بساطة بأي شيء : الكتاب ، الإنسان وألله ؛ هذا مع الوعي بأن الموت كما نعرف جميعاً يمتلك فعالية ذات خصوصية واضحة) . انطلاقاً من هذا الحد أصبحت الفلسفة ممكنة وأصبح ممكناً من ثم تحديدها كمجال معرفي يشتغل داخل ضرورات وعوائق أساسية وتقلبات مفاهيمية يستحيل محاربة الفلسفة من خارجها . ففي قراءاتي أحاول إذن وبحركة مزدوجة ضرورة...

■ نقول في تصورك لفرويد الذي يكتبُ بيدَين ...

لا... نعم ، هذه لعبة مزدوجة تنطبع في مجالات حاسمة بشطبة (3) تترك الدليل المطموس ممكن القراءة ، وتسجل في النص ويعنف كل ما يطمح إلى قيادته من الخارج . إنني بهذه اللعبة أحاول بكل الصرامة الممكنة أن أحترم اللعبة الداخلية المُقننة لهذه الوحدات المعرفية والفلسفية ، وذلك بجرها إلى الانزلاق طوعاً إلى نقطة لا ملاءمتها non-pertinence ، أي إلى نقطة فراغها وانغلاقها . إن "تفكيك" البناء الفلسفي سيكون إذن هو تفكير الجينيا لوجيا المُحكممة البنية لهذه المفاهيم وذلك بالطريقة الأكثر اخلاصاً والأكثر محايدة . لكن في الوقت ذاته وانطلاقاً من خارج معين لا تستطيع هذه البنية تعيينه أو تسميته ، سيكون ذاك التفكيك تحديداً لما أخفاه ذاك التاريخ أو منعه ، صانعاً بذلك نفسه

(3) تعود هذه العملية أصلاً إلى مارتن هيدجر (انظر : قضايا 1 ، ص 232-239) ، والهدف منها كما يصرح هو نفسه جعل الوجود لا يحضر أمامنا كوجود معطى . وقد كتب دريدا عن ذلك قائلاً : "إن هيدجر لا يتركنا نقرا كلمة 'وجود' إلا تحت صليب شاطب لا يكون بالرغم من ذلك دليلاً سالباً وبساطة . إن تلك الشطبة هي الكتابة الأخيرة لعصر معين ، فتحت معالمها ينمحي حضور المدلول المتعالي بالرغم من أنه يظل قابلاً للقراءة . (في علم الكتابة) ، ص 38) . ونحن نجد صدى بل و ممارسة منهجية للشطبة في كتابات دريدا وذلك لوسم جسد الدليل بما يضع فيها موضع تساؤل حضور المعنى أو المدلول في أوليته وسلطته وتعاليه .
انظر في ذلك : في علم الكتابة ، ص 31-65 مثلاً .

كتاريخ على أساس ذاك القمع . آنذاك ومن خلال هذه الحركة (المخلصة والعنيفة معا) وبين خارج و داخل الفلسفة (أعني الغرب) سيتم إنتاج عمل نصي فيه متعة كبرى . إنها كتاب ة منفتحة للذات ، ثمكّن أيضا من قراءة الوحدا الفلسفية -philosophie- ومن ثم كل النصوص المتتمية لثقافتنا - باعتبارها أعراضاً ظاهرة (وهي كلمة مشتبهة فيها كما شرحت ذلك في مقام آخر) لشيء لم يتمكن من التمثيل داخل تاريخ الفلسفة ، بل لا يوجد في مكان ما . إن الامر يتعلق في هذه القضية بخلخلة التحديد الذي استطاع هيدجر التعرف فيه على مصير الفلسفة .

بالإمكان إذن متابعة تصور الكتابة كعرض symptome معبر للغاية من أفلاطون إلى أرسطو ومن سوسير إلى هوسرل ، ويمكن الوصول بهذه المتابعة إلى حد هيدجر بعض الأحيان ؛ بل إن هذا الاعتبار يطال في بعد الخطابات الحديثة الأكثر خصوصية وإن لم تصل تلك الخطابات إلى مستوى القضايا الهوسرلية والهيدجرية . إن عرضا من هذا النوع يوجد بنية وضرورة في حالة خفاء نظراً لأسباب وتبعاً لطرائق أحاول تحليلها . وإذا ما تم لذلك العرض الظهور فإن أمر هذا الاكتشاف لن يعود لعمل عبقري أو لمبادرة خاصة تحصل بفضل شخص ما هنا أو هنالك . إنه نتيجة لتحوّل شامل (لا نستطيع وسّمه ب "التاريخية" والعالمية لأن ذلك يخلُ بهذه الدلالات نفسها) . إنه تحول يمكن معاينته في حقول محددة كالتشكيل الرياضي والمنطقي واللسانيات والاثنولوجيا والتحليل النفسي والاقتصاد السياسي وفي البيولوجيا والإعلام والبرمجة . . . الخ .

■ يمكننا التمييز في أبحاثك بين معنيين على الأقل للكلمة كتابة :

معنى متداول تتعارض فيه الكتابة (الصوتية) مع الكلام الذي يفترض أن تكون الكتابة تمثيلاً له (لكنك توضح انعدام وجود كتابة صوتية محضة) ؛ ، ومعنى أكثر جذرية يحدد الكتابة في عموميتها ، أي خارج كل ارتباط بما تنعته النظرية الجلسيمائية ب "جوهر التعبير" باعتباره جذراً مشتركاً يمنح الكلام والكتابة وجودهما . فالتعامل مع الكتابة بالمعنى المتداول يشكل إشارة كاشفة للقمع الذي يُمارس على الكتابة الجامعة archi-écriture من حيث هو قمع لم يكن بالإمكان تفاديه

وإن كان من الضروري مساءلة ضرورته وأشكاله وقوانينه . إن الكتابة الجامعة تدخل في سلسلة من الأسماء الأخرى : الأثر الجامع *archi-trace* ، الشرخ ، الإضافة ، الخزان والمغايرة *différance* (4) . لقد تساءل القراء كثيرا عن *a* المغايرة *différance* فما هو معنى هذا الحرف ؟

□ لست أدري إن كان يعني شيئا أو كان شيئا آخر من نتائج ما تسميه الميتافيزيقيا دليلاً (دال/مدلول) . لقد لاحظت أن هذا الحرف يُكتب ويُقرأ بينما لا يمكن سماعه . بدءاً ، أنا أتشبث كثيراً بكون هذا الخطاب (خطابنا نحن في هذه اللحظة) حول هذا التحريف أو الاعتداء الخطي والنحوي ، يعني إحالة إلى التدخل الصامت للعلامة المكتوبة . إن الصفة المشتقة من فعل خَالَفَ/اختلف *différer* [أي مغاير *différent*] والتي قياساً عليها ابتكر هذا الاسم [*différance*] تجمع صنفًا كاملاً من المفاهيم اعتبرها نسقية وغير قابلة للاختزال ، يتدخل كل واحد منها - بل تتزايد فعاليته - في لحظة حاسمة من العمل . تُحيل المغايرة أولاً إلى الحركة (النشطة والسكنة) التي تقوم بفعل الاختلاف ، وإحالتها هذه تتم عبر المهلة والتفويض والإرجاء والإحالة والدوران والتأخر وعملية الاختزان . بهذا المعنى فإن الاختلاف لا يكون مسبوقاً بالوحدة الأصلية *originnaire* الصلبة لإمكانية حاضرة احتفظ بها كما احتفظ بصرفة معينة لوقت لاحق انطلاقاً من حساب أووعي اقتصادي . فما يجعل الحضور اختلافياً هو بالعكس ما يتم الانطلاق منه لإعلان الحضور أو الرغبة في الحضور من خلال مثله أو علامته أو أثره ...

■ هل يكون المغايرة بهذا المعنى مفهوماً اقتصادياً؟

□ سأذهب إلى القول إنه مفهوم الاقتصاد نفسه . وبما أنه لا يمكن تصور اقتصاد بدون مغايرة فإنه من الممكن اعتباراً هذا المفهوم البنية الأكثر عموماً للاقتصاد ؛ فقط يلزمنا أن نفهم من مفهوم الاقتصاد ذاك شيئاً آخر غير الاقتصاد الكلاسيكي للميتافيزيقيا أو الميتافيزيقيا الكلاسيكية للاقتصاد . إن حركة المغايرة من حيث أنها منتجة للمختلف ومن حيث أنها تَمِيزُ هي :

(4) المقصود هو أن كلمة الاختلاف *différence* المتداولة في الاستعمال الفرنسي تكتب بـ *e* ، فيما اصطنع دريدا كلمة *différance* بحرف *a* . لجعل المكتوب غير المنطوق ذا فعالية دلالية وفلسفية . .

ثانياً: الجذر المشترك لكل المتعارضات المفاهيمية التي تشرح لغتنا وتخرقها كالأزواج الميتافيزيقية: محسوس/معقول، حدس/دلالة، طبيعة/ثقافة... حتى نكتفي بهذه الأمثلة. وباعتبارها جذراً مشتركاً فإن المغايرة يكون عنصر المائل *me* (الذي يلزم تمييزه عن المطابق *l'identique* (s)) الذي تعلن هذه المتعارضات عن نفسها داخله.

ثالثاً: المغايرة أيضاً، إذا صح القول، عملية إنتاج هذه المغايرات وتلك الحركات المميزة للحروف *diacritique* التي ما فتئت اللسانيات (وكل العلوم البنائية التي جعلت منها نموذجاً) الشرط الضروري لكل دلالة ولكل بنية.

إن هذه المغايرات، وكذا العلم الذي يمكن أن يتولد عنها، هي نتائج للمغايرة. فموضع المغايرة ليس السماء أو المنع، وهو لا يعني أنها من إنتاج نشاط الذات المتكلمة. من هذا المنظور فإن مفهوم المغايرة ليس مفهومها بنويها، ولا هو ببساطة مفهوم تكويني. إن هذا البديل نفسه سيكون من إنتاج المغايرة نفسها. بل أستطيع أن أزعم، وسنعود لهذه النقطة بالذات، بأنها ليست بكل بساطة مفهوماً...

■ لقد شُدْهُتُ حين قرأت في بحث سابق هو "القوة والدلالة" كيف أن المغايرة، وإن لم تكن قد مُنَحَتْ بعد هذا الاسم، قد قادتكم نحو نيتش (الذي يربط مفهوم القوة بلا اختزالية المغايرات)، وبعد ذلك نحو فرويد الذي تبين أن المتعارضات محكومة لديه باقتصاد المغايرة، وأخيراً - بل ودائماً - نحو هيدجر بالخصوص

□ نعم بالخصوص. لا شيء مما أحاوله يغدو ممكناً بدون الانفتاح الذي تتيحه الأسئلة الهيدجرية، وأيضاً بدون اهتمامي بما يسميه هيدجر المغايرة بين الكائن والكيونة، أي المغايرة الوجودي - اللاهوتي بالشكل الذي لا يزال به لا مفكر الفكر الفلسفي. لكن وبالرغم... مما أدين به هنا لهيدجر، بل لأقل بسبب هذا الدين نفسه، فإنني أحاول وضع الأصبع في النص الهيدجري نفسه (الذي لا يختلف عن أي نص آخر من حيث لا تحاسنه ولا استمراريته، ومن حيث أنه نص في مستوى قوته الكبرى ونتائج أسئلته) على علامات

(٩) كان هيدجر أول من نبّه إلى هذا الاختلاف بين المائل والمطابق: "إن المائل ليس هو المطابق. ففي المطابق ينهار كل اختلاف، أما في المائل فإن الاختلافات تنبدي". قضايا ١، جاليمار، 1968، ص 280.

الانتماء إلى الميتافيزيقا أو ما يسميه هيدجر الوجود - اللاهوت* . وقد اعترف هيدجر نفسه أنه اضطر ، وأنا جميعا مضطرون باستمرار ، إلى النهل من المورد التركيبي والمعجمي للغة الميتافيزيقا في اللحظة نفسها التي كان يقوم بتقويض بنائها . فنحن مطالبون إذن بالعمل على اكتشاف هذه المسارب الميتافيزيقية وعلى إعادة التنظيم المستمر والمتجدد لشكل وفضاءات السؤال . من ضمن هذه المسارب التحديد النهائي للاختلاف كاختلاف وجودي فردي أو نيكو-لاهوتي . فهذا التحديد يدولي وبشكل غريب ، حبس الميتافيزيقا بالرغم من الضرورة والحسم الكبيرين اللذين تتسم بهما المرحلة من فكر هيدجر . في تبعنا لفكر الحقيقة والكيونة هذا إلى منتهاه ، وانطلاقا من حركة نيتشية أكثر منها هيدجرية ، نحن مطالبون بالانفتاح على مغايرة لا تكون محددة في لسان الغرب كاختلاف بين الكائن والكيونة . إن حركة من هذا القبيل تظل مستحيلة بدون شك في وقتنا الراهن ، لكن بالإمكان توضيح شروط بزوغها وتكونها في فكر هيدجر أولا .

رابعا: تأتي المغايرة لا تُعَيَّن فقط وبدء الاختلاف الوجودي اللاهوتي وإنما تُعَيَّن امتداد الاختلاف هذا .

■ ألا يفضي الحدُّ *la limite* ، الذي نتحدث عنه لدى هيدجر وكما يبدو أحيانا في

اقتراحاتك ، إلى نوع من النزعة الصوتية؟

□ لا يتعلق الأمر فيما يخصني بحدّ معين . وإذا كان الأمر كذلك فإن الحدّ يضمن سلطةً ومساربَ معينة ، ومن ثم فهو يمتلك قوة لا نظير لها ، لكن يمكن أن نلمس عند هيدجر نوعاً من النزوع الصوتي يؤدي لديه إلى حُطوة للصوت أي إلى "جوهر تعبير" معين كما هو الأمر في فكر الغرب بكامله . إن هذه الحُطوة ذات النتائج الهامة والمتنظمة تكشف عن نفسها في الترجيح الدال لمجموعة كبرى من المجازات الصوتية التي تأتي في معرض حديثه عن مسألة الفن (6) والتي تؤدي دائما - ومن خلال نماذج خاضعة لاختيار صارم - إلى

* يتحدث *onto-thologique* عند هيدجر في تقابله مع *ontico-thologique* ، وهو في حقيقته ليس إلا صدى للاختلاف بين الوجود و الموجود ، أي بين الوجودي *ontologique* والموجودي *ontique* .

(6) الإشارة تخص بحث هيدجر: "أصل العمل الفني" (المنشور ضمن مسارب الغابة ، جاليمار ، 1962) خاصة ص 37 وما بعدها .

تصور الفن "كمجال لنشاط الحقيقة". وإذن فإن التأمل الرائع الذي يكرر من خلاله هيدجر أصل أوجوه الحقيقة لا يخلخل أبدا العلاقة مع اللوغوس والصوت *phone*. وهو ما يفسر كيف أن الفنون كلها، حسب هيدجر، تترعرع في فضاء القصيدة باعتبارها "جوهرًا للفن" (7) وفضاء "اللسان" و"الكلام". "ففن العمارة والنحت - يقول هيدجر - لا يولدان أبداً إلا في منفتح القول والتسمية اللذين يحكماهما ويقودانهما". هكذا يتضح الامتياز المعترف به كلاسيًا للقول *diction* والإنشاد، والاحتقار الذي يُخصّص للأدب. يقول هيدجر: "يلزمنا تحرير القول من الأدب. الخ."

■ إن هذه الملاحظة الأخيرة تترجم الاهتمام الذي نوليه دوماً للاختزالية الكتابة ولفضائيتها "الأدبية". وهنا بالضبط تبدو القراءة الوثيقة لأعمالك مع أعمال مجموعة طيل كيل *Tel quel*.

□ أستطيع القول على كل حال بأن رهان البحوث الحالية (8) لهذه المجموعة شأنه شأن كل بحث مماثل، ذواهمية قصوى ولم يُعطَ له وزنه الحقيقي في فرنسا كما أعطي له في الخارج، بل إنه وهذا هو المثير، لم يحظ في الغرب بما حظي به من اهتمام في الشرق*. ولو كان الوقت يسعنا لاستعنا تحليل علل ذلك ولتساءلنا بالتالي عما يجعل لا اختزالية الكتابة ومعها تقويض المركزية العقلية يعلنان عن نفسها اليوم في مجال خاص وفي شكل محدد من الممارسة "الأدبية". وأنت تدرك جيداً لم أفضل كتابة هذه الكلمة بين مزدوجتين، لأن أي لبس يلزم رفعه هنا. إن هذه الممارسة الجديدة تفترض قطيعة من هذا النوع مع كل ما ربط تاريخ الفنون بتاريخ الميتافيزيقا...

■ هل من الممكن تجاوز هذه الميتافيزيقا؟ ثم هل بالإمكان وضع مركزية الكتابة في

(7) مارتن هيدجر، لماذا الشعراء؟ ضمن نفس المرجع. تصل العلاقة بين الفكر والشعر عند هيدجر إلى درجة يعلن فيها أن "الفكر قصيدة" (ص. 396). وانظر لزيد من التعمق كتابه: مقارنة هولدرلين والتوجه نحو الكلام.

(8) هذه الإشارة محكومة بزمنها. فمجموعة "طيل كيل" التي ضمت في الستينات والسبعينات نخبة من مفكري وكتاب فرنسا (دريدا، بارث، تودوروف، جينيت، صولرس، جان لوي هودوين...) سرعان ما تفشخت في أواسط السبعينات وتوقفت معها المجلة التي كانت تحمل نفس الاسم لتخلفها مجلة اللامتهني *l'infini* بإدارة صولرس نفسه. * المقصود بالشرق هنا هو اليابان.

مقابل المركزية العقلية؟ هل بالإمكان حصول انتهاك فعلي للانغلاق الميتافيزيقي وما هي إذن شروط خطاب انتهاكي من هذا النوع؟

□ لا وجد انتهاك إذا ما عُنينا بذلك الإقامة البسيطة والمحضة لشيء اسمه ما وراء الميتافيزيقا، وهذا أمر يعود إلى نقطة متعلقة أولاً باللغة والكتابة. تبعاً لذلك فإننا في الاعتداءات وعمليات الانتهاك نتعامل مع سَنَن code له علاقةٌ وطيدةٌ مع الميتافيزيقا. إنها علاقة غير قابلة للاختزال، إلى درجة أن كل فعل انتهاكي يسجنتنا - بفعل هذا الترابط نفسه - داخل الانغلاق. لكن وبفعل العمل الذي يحيط من جوانب متعددة بالحد، يتغير الحقل الداخلي وتنتج بذلك عملية انتهاك لا تقدم نفسها كامر متحقق سلفاً. إننا لا نقيم ابداً في عملية انتهاك ولا نسكن أبداً مكاناً آخر. فالانتهاك يؤكد الوجود الدائم والنشط والفعال للحد. وإذن سيكون "الفكر - الذي - لا يريد - قول - أي - شيء"، الفكر الذي يتجاوز "إرادة القول" (9) و"إرادة الاستماع الذاتي للقول الذاتي" وهويسائلها، والذي يعلن عن نفسه في علم الكتابة، فكراً يقدم نفسه بالنظر إلى ما لا تضمنه ثنائية: الخارج/الداخل. أما التجاوز والانتهاك فسيغدوان في نهاية هذا الاشتغال مفهوميين مشبوهين.

ولذا فانا لم أفكر يوماً في أن أقابل بين التمرکز حول الكتابة والتمرکز حول العقل، بل لم أفكر عموماً في مقابلة مركز بآخر. فكتابي في علم الكتابة ليس دفاعاً عن علم الكتابة أو تصويراً لمعالمه، بل وبدرجة أقل هوليس إحياء لما اعتدنا تسميته بالكتابة. إن المسألة لا تتعلق بأن نعيد للكتابة حقوقها وامتيازها وكرامتها، هذه الكتابة التي اعتبرها أفلاطون شيئاً شبيهاً وتيمناً ولقيطاً مقابل الكلام الذي جعل منه الابن الشرعي والبار للأب اللوجوس (10).

9، إرادة القول (كما يوضح دريدا ذلك في "الصوت والظاهرة") ترجمة مبررة نظرياً وفلسفياً ل (bedeuten (دَلْ/يَدُلْ كما يتصورها هوسرل. والدلالة عند هذا الأخير ترتبط أساساً بالقصدية، أي بالرغبة في القول، والكلام والصوت كمجال أسمى للمعنى. انظر أيضاً، بخصوص إرادة القول أو القصدية وموقعها من فيرمينولوجية هوسرل: الشكل وإرادة القول، المنشور ضمن: "هوامش الفلسفة". وكتاب افكار Ideas لهوسرل الذي قام بترجمته بول ريكور.

10 يحيل دريدا هنا إلى بحثه: صيدلية أفلاطون، (منشور ضمن: التشبث) حيث يوضح هذه العلاقة بقوله: "هكذا يتصرف الإلاه - الملك - الذي - يتكلم كاب. هنا يتم تقديم الفارماكون (السم - الدواء - الكتابة) للاب الذي يقوم برفضه واحتقاره وهجره والحط من قيمته. إن الاب يشبه في الكتابة وراقبها باستمرار"، ص. 86.

فحين نحاول مساءلة هذا المشهد العائلي والتشكيك في المؤديات الأخلاقية وغيرها لهذه الحكاية، فإن أي انقلاب أخلاقي أو قيمي يُعيد للكتابة امتيازها أو حقها في الأولوية سيكون أكبر عمل تحريفي وتافه تقوم به. أظن أنني كنت واضحاً بما فيه الكفاية بخصوص هذا الموضوع. ففي علم الكتابة عنوان لسؤال يخص ضرورة علم الكتابة كما يخص شروط إمكانه والعمل النقدي الكفيل بتحقيق انفتاح مجاله ورفع كل العواقب الاستمولوجية من أمامه. إلا أنه سؤال يخص أيضاً حدود هذا العلم. هذه الحدود التي حظيت بالحاحي بنفس القدر الذي حظيت به القضايا الأخرى، هي نفس حدود مقولة العلم الكلاسيكية الذي ترتبط مشاريعه ومفاهيمه بشكل أساسي ومنهجي بالميتافيزيقا.

■ في هذا المنحى يلزمنا قراءة علّة نهاية الكتاب وبدء الكتابة الذي أثرته في كتابك في علم الكتابة، والذي لا ينبغي اعتباره تقريراً وضعياً أو سيولوجياً.

□ ربما كان الأمر كذلك، لكن بشكل ثانوي جداً. ففي هذا البحث أعطي عن حق مكانة خاصة للتحقيق الوضعي حول التقلبات الحالية لأشكال التواصل، وكذا للبنيات الجديدة التي تختزل بشكل كبير ومنهجي حصة الكلام والكتابة الصوتية والكتاب سواء كان ذلك في مجال التوثيق أو في مجال التحليل الإعلامي. لكننا سنكون جد مخطئين إذا نحن استنتجنا من العنوان التالي: "نهاية الكتاب وبداية الكتابة" موت الكتاب وولادة الكتابة. ففي الصفحة السابقة على هذا العنوان اقترحت تمييزاً بين الانغلاق والنهاية. فما يكون حبس الانغلاق المحدود واللامحدود له قابلية الاستمرار اللانهائي. وأنا أتمنى ألا يقف القارئ فقط عند هذا العنوان لأنه يعلن تحديداً بأنه لا وجود لنهاية للكتاب أو بداية للكتابة. إن هذا الفصل يوضح فعلياً أن الكتابة لا تبدأ، إذ انطلاقاً منها - إذا أبخنا لأنفسنا هذا التعبير - تتم خلخلة مسألة البحث عن بدء أصلي، وعن بداية مطلقة أو عن أصل. فالكتابة لا يمكنها أن تبدأ بقدر ما لا يمكن للكتاب أن ينتهي.

■ هذه الحركة الموسومة باللاتناهي يمكن اعتبارها المجاز المتأني لبحوثك.

لا إنني أحاول أن أكتب داخل الفضاء الذي تنطرح فيه مسألة القول وإرادة القول أو القصدية. أحاول أن أكتب السؤال التالي: ما هي القصدية؟ يكون من الضروري

إذن، وفي فضاء من هذا القبيل، ألا يكون للكتابة حرفياً أي معنى خصوصاً إذا كانت محمولة على هديّ ذلك السؤال. إنها فقط تحاول مع نفسها، تمتد وتحاول أن تقف على نقطة انهيار القصيدة. وأن نغامر في عدم - إرادة - قول - أي - شيء معناه الدخول في اللعبة؛ أي أولاً في لعبة المغامرة التي تقوم على كون أية كلمة أو مفهوم أو ملفوظ معقول سيكون عاجزاً عن تلخيص الحركة الفضائية النصية للاختلافات انطلاقاً من الحضور اللاهوتي لمركز ما. عن ذلك تنتج مثلاً سلسلة الاستبدالات التي جاءت في حديثك منذ برهة (الأثر الجامع، الكتابة الجامعة الخزان، الحذر، الشرخ، التمثيل، الإضافة، المغامرة، واللائحة مفتوحة) والتي ليست عمليات كنائية لا تمس الهويات المفاهيمية والمثليات المدلولة وتكتفي بترجمتها فحسب. في هذا المنحى بالضبط أغامر بعدم - قول - أي - شيء - يكون فقط قابلاً للسماع ويكون بالتالي متعلقاً بالفهم.

إن في التشابك مع مئات الصفحات من كتابة هي في نفس الوقت ملحاحه، راقصة وإضمارية؛ كتابة تقوم كما رأيت بطبع شطباتها ويحمل داخلها كل مفهوم في سلسلة لامتناهية من الاختلافات؛ كتابة تحيط نفسها وتلفها بكومة من الحذر والاحالات والهوامش والاستشهادات والتوليفات والملحقات؛ في ذلك التشابك لا يكون "عدم إرادة قول أي شيء" هذا - وانت معي في ذلك - تمريناً مريحاً كل الراحة. ★

السِّمِّيُولُوجِيَا وَعِلْمُ الْكِتَابَةِ*

حوار مع جوليا كريستيفا

■ تنهض السِّمِّيُولُوجِيَا في بنائها الحالي على نموذج الدليل وما يرتبط به كالتواصل والبنية . فما هي إذن الحدود "العقل مركزية" والعرق مركزية لهذه النماذج وكيف يمكن أن تشكل قاعدة لدلالة تطمح إلى الانفلات من قبضة الميتافيزيقا؟ □ إن كل الحركات تكون هنا بالضرورة ملتبسة . وحتى إذا نحن افترضنا - وهو ما لا أؤمن به - أنه بالإمكان الانفلات يوما وببساطة من قبضة الميتافيزيقا فإن مفهوم الدليل سيكون في هذا المسار عائقا وتقدما في الآن نفسه . فإذا كان مفهوم الدليل ذا جذور ومؤديات تنتمي بصفة كاملة إلى مجال الميتافيزيقا وتتضامن بشكل منهجي مع اللاهوت الرواقي والقروسطي ، فإنه قد خضع لتحويل واشتغال (كان الدليل موضوعه وأداته في الآن نفسه) كان لهما عليه آثار محررة : de-limitants فقد مكنت هاتان العمليتان من نقد الانتماء الميتافيزيقي للدليل ومن رسم وتوسيع حدود النسق الذي وُجد فيه وأصبح يخدمه ، كما مكنت من انتشاله إلى حد ما من منبته الأصلي . وما يلزم الآن هو السير بهذا العمل إلى أبعد نقطة ممكنة . إلا أننا لن نعدم أبدا ، وفي لحظة معينة ، مواجهة الحدود ذات الطبيعة

العقل مركزية و " العرق مركزية " لذلك النموذج . وفي تلك اللحظة بالذات يجب التخلص من مفهوم الدليل . إلا أنه من الصعب تعيين هذه اللحظة لأنها ليست لحظة خالصة من كل تأثير ميتافيزيقي . ولكي تكون كذلك يلزم أن تكون كل الإمدادات الاستكشافية والنقدية لمفهوم الدليل قد استنفدت على كل الأصعدة والسياقات الممكنة . لكن ما لا يمكن أبدا تفاديه هو وجود تطورات لا متكافئة (وهو شيء حتمي) وضرورات تفرضها بعض المقامات ، تجعل من الرجوع إلى نموذج نحن على علم بأنه يشتغل كعائق (وفي مرحلة متقدمة من البحث) شيئا ضروريا من الناحية الاستراتيجية . وحتى لا نكتفي بمثال واحد ، نستطيع أن ندلل على أن سيميولوجيا من النمط السوسيري وقد لعبت دورا مزدوجا ، إذ كان لها من جهة دور نقدي ذو طابع حاسم :

(١) فقد أثبتت ، ضدا على التقليد الجاري آنذاك ، أن المدلول غير قابل إطلاقا لأن ينفصل عن الدال وبأنهما معا يشكلان وجهي إنتاج واحد ووحد . وقد عبر سوسير بوضوح عن رفضه لمطابقة هذه الثنائية أو هذه الوحدة ذات الوجهين مع ثنائية الجسد والروح كما جرت العادة من قبل . وفي هذا الصدد يقول سوسير : " غالباً ما تمّ الاعتيادُ على مقارنة هذه الوحدة ذات الوجهين مع وحدة الشخص الانساني المتكون من جسد وروح . ولا بد من القول بأن التشبيه هنا قليل الإقناع " (١) .

(٢) لقد ساهم سوسير ، وبقوة ، في تحويل مفهوم الدليل الذي استقاه من التراث الميتافيزيقي وتوظيفه ضد هذا التراث نفسه . وقد تم ذلك عبر التأكيد على الطابع الاختلافي والصوري للاشتغال السيميولوجي ومن خلال توضيح " استحالة انتماء الصوت نفسه ، وهو العنصر المادي ، إلى اللسان " ، وكذا عبر اعتبار الدال اللساني " في جوهره غير ذي طبيعة صوتية " كما وضع سوسير ، وفي نفس الوقت ، ضرورة نزع الطابع الجوهري من المضمون المدلول وعن " جوهر التعبير " (الذي ليس إطلاقا وبامتياز الطابع الصوتي) ومن ثم جعل اللسانيات جزءاً فقط من السيميولوجيا العامة .

ورغم ذلك ، لم يكن لسوسير سوى تكريس التقليد ، خصوصا وأنه استمر في

١، تحليل الاستشهادات المأخوذة من دروس في اللسانيات العامة إلى طبعة دار بيار ، باريس ، 1971 (المترجم) .

خدمة مفهوم الدليل . فنحن لانستطيع سواءً أعلق الأمر بهذا المفهوم أم بآخر غيره ، أن نقوم باستخدامه استخداماً مطلق الجدة والعرفية . ذلك أننا مضطرون للتقبل اللانقدي على الأقل لجانب من المؤديات التي يحملها في نسقه .

هناك على الأقل لحظة اضطرت فيها سوسير إلى التخلي عن استخلاص النتائج الضرورية من مفهوم الدليل ، وهذه اللحظة ، غير المجانية طبعاً ، هي التي يستسلم فيها لاستخدام كلمة " دليل " لأنه لم يجد بديلاً عن ذلك . فبعد أن قدم مبرراته لاستعمال كلمتي " الدال " و " المدلول " كتب سوسور : " أما بخصوص الدليل ، فإن اكتفاءنا به ناتج عن عدم وجود ما نعوضه به . فاللغة الاستعمالية لا تقترح علينا أي مفهوم مغاير " . ونحن نرى كيف أن سوسور لم يكن له أن يتصل من توظيف الدليل بعد أن قام باقتراح ثنائية الدال والمدلول . والحال أن " اللغة الاستعمالية " ليست بريئة أو محايدة ، إذ هي لغة الميتافيزيقا الغربية التي تحمل ليس فقط عدداً مهماً من فرضياتها المختلفة وإنما أيضاً فرضيات مترابطة ومكثفة بشكل نسقي⁽¹⁾ . إن ملاحظة ذلك تدفعنا إلى البحث عن آثار تلك الفرضيات داخل خطاب سوسير . ولهذا ، من جهة ثانية :

(1) فإن الاحتفاظ بالتمييز الراسخ - من حيث هو تمييز جوهري وحقوقى - بين الدال signans والمدلول signatum وكذا المعادلة بين هذا الأخير والمفهوم (2) يفتح أمامنا مشروعية تفكير مفهوم مدلول في ذاته في حضوره البسيط إلى الفكر وفي استقلاله عن اللسان ، أي في ارتباط مع نظام من الدوال . إن سوسير حين ترك لنا هذه الإمكانية مفتوحة (وهي إمكانية انفتاح موجودة في أصل ثنائية الدال / المدلول ، أي في أصل الدليل) فهو يناقض المكتسبات النقدية التي تحدثنا عنها منذ قليل . إنه بذلك يمنح المشروعية للفرضيات الكلاسية التي

(1) أي المعقول intelligible . فقد اعتمد اختلاف الدال عن المدلول دائماً على إعادة إنتاج الاختلاف بين المحسوس و المعقول ، و هو شيء لم يفر في القرن العشرين عنه في الأصول الرواقية للدليل . لقد أرسى الفكر البنيوي المعاصر بوضوح ما يلي :

اللغة نسق من الأدلة و اللسانيات جزء لا يتجزأ من علم الأدلة أي السيميائيات (أو بلغة سوسير السيميولوجيا) . فالعريف القروسطي الذي أحياه عصرنا ، و هو شيء موح ، لا يزال دائم الخصوبة و الصلاحية . هكذا يكمن الطابع المكون لكل دليل عموماً و لكل دليل لساني تخصيصاً في خصيصته المزدوجة ، أي أن كل وحدة لسانية تتكون من جزئين و تملك طابعين ، الأول محسوس و الثاني معقول ، أي signans (دال سوسير) من جهة و signatum (المدلول) من جهة ثانية (رومان ياكوبون ، أبحاث في اللسانيات العامة ، دار مينوي للنشر ، 1963 ، ص 162) .

اقترحتُ تسميتها بـ "المدلول المتعالي" الذي لن يحيل في ذاته، أي في جوهره إلى أي دالٍّ، بل سيتجاوز سلسلة الأدلة ولن يتم له الاشتغال أبداً -وفي آية لحظة- كدال. لكن وبمجرد ما نشك في وجود مدلول متعالٍ من هذا النوع، وحين نعترف بأن كل مدلول هو أيضاً في موقع الدال (3) فإن التمييز بين المدلول والدال (أي الدليل) يصبح إشكالياً من جذره. طبعاً يجب القيام بهذه العملية بحذر كامل، نظراً:

(أ) لأنها مطالبةٌ بالمرور بعملية عويصة هي تفكيك بناء تاريخ الميتافيزيقا الذي فرض ولن يفتأ يفرض على كل سيميولوجي هذا البحث الأساسي عن "مدلول متعال" وعن مفهوم مُستقل للسان. إن هذا البحث لم يتم فرضه من الخارج عن طريق شيء اسمه "الفلسفة"، وإنما من خلال كل ما يربط لساننا وثقافتنا و"نظام فكرنا" بتاريخ ونسق الميتافيزيقا.

(ب) لا يتعلق الأمر أيضاً، وبالمقابل، بالخلط بين الدال والمدلول على كل المستويات. فإذا كانت هذه الثنائية أو هذا الاختلاف عاجزاً عن أن يكون جذرياً فهذا لا يمنعه من الاشتغال، ومن أن يكون ضرورياً في حدود معينة قد تكون حدوداً واسعة. فبدون تلك الثنائية لن تكون الترجمة، مثلاً، ممكنة. لقد تكونت موضوعة المدلول المتعالي بالفعل في أفق عملية ترجمة خالصة، شفافة ووحيدة الجانب مطلقاً. ففي الحدود التي تكون أو تبدو فيها الترجمة ممكنة، تقوم بممارسة الاختلاف بين الدال والمدلول. لكن إذا كان هذا الاختلاف غير خالص فالترجمة لا تكون بدورها أكثر خلوصاً. ولذا ينبغي إبدال مقولة الترجمة بمقولة التحويل transformation (4) من حيث هو تحويلٌ منظمٌ للغة من طرف لغة أخرى ولنص معين من طرف نص آخر. لن نواجه كما لم نواجه أبداً عملية نقل transport للمدلولات خالصة (من لسان لآخر أو داخل لسان واحد) تتركها الأداة الدالة - أو الممرر الدال - عذراءً لم يمسّها التحوّل.

(2) لقد اضطر سوسير، ولأسباب ميتافيزيقية أساساً، إلى منح الخطوة للكلام أي

(3) انظر: في علم الكتابة، ص 106 و 108، (م. ف.).

(4) يبدو أن ج. دريدا غير مستقر على تسمية ملائمة: ترجمة أو تحويل؟ فهو يعود في نص لاحق إلى إعادة الاعتبار لمفهوم "الترجمة". انظر بهذا الخصوص: أذن الآخر، نصوص و مناقشات مع جاك دريدا، منشورات V.L.P، كندا، 1982، ص 123. (الترجم.).

لكل ما يربط الكلام إلى الجوهر الصوتي *phone*، بالرغم من اعترافه بضرورة وضع المادة الصوتية بين قوسين. يقول سوسير: "إن جوهر اللسان، كما سنرى، لا علاقة له بالطابع الصوتي للدليل اللساني"، وأيضاً: الدال اللساني ليس إطلاقاً، وفي جوهره، ذا طبيعة صوتية". يتحدث سوسير أيضاً عن "الترابط الطبيعي" بين الفكر والصوت *voix* وبين المعنى والصوت *son*، بل يذهب كذلك إلى الحديث عن "الفكر - الصوت" وقد حاولت في مقام آخر توضيح ما لهذه الحركة من طابع تقليدي ولاي ضرورات هي خاضعة. على كل حال، وفي تعارض مع أهم حافز نقدي في دروس في اللسانيات العامة، عمل سوسير على جعل اللسانيات النموذج المنظم للسيمولوجيا العامة، في الوقت الذي كان من المنتظر فيه ألا تكون اللسانيات، على الأقل نظرياً، سوى جزء مكون لها. هكذا تم تحويل اعتبارية الدليل عن مناحي خصوصتها (أي الشكلنة) نحو غاية تراتبية: "يمكننا القول إذن - يقول سوسير - بأن الأدلة الكاملة الاعتبارية تحقق أفضل من غيرها المثال الأعلى للعملية السيمولوجية، لهذا فإن أعقد الأشكال التعبيرية وأكثرها انتشاراً، هو الأكثر تخصيصاً. وبهذا المعنى فاللسانيات تمتلك إمكانية أن تصبح نموذج كل سيمولوجيا، بالرغم من أن اللسان ليس إلا نظاماً خاصاً منها" إننا نعثر على نفس المفاهيم لدى هيجل. فالتناقض بين لحظتي "الدروس ... " هذه موسومة أيضاً بما يعترف به سوسير في مقام آخر ومفاده أن "اللغة الشفوية ليست هي الطبيعية بالنسبة للإنسان، وإنما قدرته على تكوين اللسان باعتباره نظاماً من الأدلة المتميزة ... " وهذا ما يشير إلى إمكانية السنن والتمفصل في استقلال عن المادة الصوتية مثلاً.

(3) يحمل مفهوم الدليل (الدال / المدلول) في ذاته ضرورة تفضيل المادة الصوتية ومنح السيمولوجيا دور "السيادة". فالصوت بالفعل هو الماهية الدالة التي تظهر للوعي باعتبارها الأكثر اتحاداً مع فكر المدلول. من هذا المنظور يكون الصوت *voix* هو الوعي ذاته. فحين أتكلم فانا أكون واعياً بكوني حاضراً فيما أفكر فيه، لكن أيضاً أكون على وعي باني احتفظ على مقربة من تفكيري ومن "المفهوم" بدالاً لا علاقة له بالعالم وأستطيع سماعه بمجرد ما أتلفظ به، دالٌ يبدو ملتصقاً بعفويتي الحرة والخالصة ولا يطالب بأية أداة ولا بأي إضافة لها مصدرها في العالم. هنا لا يتعلق الأمر فقط بعلاقة وحدة، لكن يدوان الدال، داخل هذا التمازج، يتمحي أو يصبح شفافاً كي يترك المفهوم (المدلول) يقدم نفسه كما

هوبدون أية إحالة سوى إلى حضوره هو، تبدو لذلك برانية الدال خاضعة للاختزال. هذه التجربة هي بالطبع خُدعة، إلا أنها خدعة ينهض على ضرورتها نظامُ بنية وعصرٍ بكامله؛ إذ بناءً على مكتسبات هذا العصر قامت سيميولوجيا تمتح جهازها المفاهيمي ونظامَ فرضياتها من الإرث الميتافيزيقي الممتد من أفلاطون إلى هوسرل مروراً بآرسطو وروسو و هيجل ...

(٤) إن اختزال برانية الدليل يعني إلغاء كل ما ليس ذا طبيعة نفسية في الممارسة السيميولوجية، والحال أن ما يعطي مشروعية ما لاقتراح سوسير القائل بأن الدليل اللساني وحدة نفسية ذات وجهين هو بالضبط الخطوة التي يتمتع بها الدليل الصوتي وإذا نحن اعتبرنا أن هذا الاقتراح يحمل في ذاته معنى علمياً صارماً فإنني لا أدري كيف يمكن مدّه ليشمل الأدلة كلها أكانت صوتية - لسانية أم لا، إلا إذا جعلنا من الدليل سيداً للأدلة الأخرى. انطلاقاً من ذلك لا أرى كيف يمكن إدخال السيميولوجيا العامة في علم النفس، وهو الشيء الذي يقوم به سوسير: "من الممكن تصور إمكانية علم يهتم بدراسة حياة الأدلة داخل المجتمع. وهذا العلم سيكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي وبالتالي من علم النفس العام، وسيحمل اسم السيميولوجيا أو علم الدليل (من الإغريقية semeion: دليل). وستكون مهمتها إنشاء معرفة حول طبيعة الأدلة والقوانين التي تحكمها. وبما أنها لم تخرج للوجود بعد، فلا نستطيع التكهن بصورتها، إلا أنها تملك حق الوجود لأن مكانها محدد سلفاً. أما اللسانيات فليست سوى جزء من هذا العلم الشامل، إذ القوانين التي ستكتشفها السيميولوجيا قابلة للتطبيق على اللسانيات. وبذا ستجد هذه الأخيرة نفسها مرتبطةً بميدان محدد من مجموع ميادين الفعل الإنساني. ويعود لعالم النفس تعيين المكان المحدد والدقيق للسيميولوجيا".

طبعاً لا يقف اللسانيون والسيميائيون الحديثون عند حدود النزعة انسيكولوجية السوسيرية. لقد قامت مدرسة كوبنهاجن وكل الاتجاهات الأمريكية بإعلان نقدها لها. لكن تركيزي على سوسير لا يعود فقط إلى كون منتقديه يعتبرونه مؤسس السيميولوجيا العامة ويمتحنون منه جل مفاهيمهم، وإنما أيضاً وبالأخص إلى أننا لا يمكن أن نقصر نقدنا على الاستعمال "السيكولوجي" لمفهوم الدليل فالمنزع السيكولوجي لا يكمن في الاستخدام الخاطيء لمفهوم جيد، إنه من صميم مفهوم الدليل نفسه وفي الشكل الملتبس

الذي تحدثنا عنه في البداية. إن هذا الالتباس يهيمن على نموذج الدليل ويسم بالتالي المشروع "السيمولوجي" نفسه ومعها الكلية العضوية لجميع مفاهيمه، وبالأخص منها مفهوم التواصل، الذي يعني الإرسال المُكَلَّفَ بتمرير هوية موضوع مدلول بين ذات وأخرى، وكذا تمرير معنى أو مفهوم يكونان جوهرياً غير مرتبطين بضرورة التمرير هذه وبعمليتها الدالة. يفترض التواصل ذواتاً (تكون هويتها وحضورها سابقين على العملية التواصلية) وموضوعات (مفاهيم مدلولية ومعنى مفكر فيه لا يحق للتمرير التواصلية أن يشكلها أو يحولها): أي يصل ج ب: ب، فالمرسل يوصل من خلال الدليل شيئاً لمتلقٍ معين... الخ. أما مفهوم البنية (s) الذي أثرته أيضاً فهو بالتأكيد أكثر غموضاً، إذ كل شيء يتعلق بالعمل الذي تكلفه به. فهو مثله في ذلك مثل مفهومي الدليل والسيمولوجيا يكرس ويكسر الوثوق العرق مركزي والعقل مركزي. ونحن في اللحظة الراهنة عاجزون، بل لا نملك الإمكانيات اللازمة للتخلي عن هذه المفاهيم. والمطلوب هو بالتأكيد القيام داخل السيمولوجيا، بتحويل المفاهيم وتقليلها وردّها ضد فرضياتها، أي إعادة وضعها في سلاسل جديدة وتغيير أرضية العمل تدريجياً كي يتم إنتاج مظهرات جديدة. أنا لا أومن بالقطيعة الحاسمة أي بوحْدانية "القطيعة الإستمولوجية" كما هوشاع حالياً. فالقطاع تندمج دائماً وضرورة في نسيج قديم يلزم عدم التوقف عن الاستمرار في تفكيكه. إن هذه الاستمرارية ليست عَرَضاً أو ظرفاً خاصاً، إنها ذات طابع جوهري ومنهجي ونظري. وهذا لا يحوّل الضرورة والأهمية النسبية لبعض القطاعات كما لا يستبعد ظهور وتعيين بناتٍ جديدة.

■ ماذا تعني بالحرف gramme "كبنية جديدة للأحضور"؟ ما الكتابة كـ "اختلاف"؟

ما القطيعة الناتجة عن هذه المفاهيم بالعلاقة مع المفاهيم المركزية للسيمولوجيا والدليل (الصوتي) والبنية؟ كيف تعوض مقولة النص في علم الكتابة الملفوظ باعتباره مقولة لسانية و سيمولوجية؟

١٩ يناقش دريدا مفهوم البنية على الأخص في بحثه: "القوة والدلالة"، و "البنية واللغة والدليل" من كتابه **الكتابة والاختلاف**. و النص الثاني مترجم إلى اللغة العربية، بدوره، من طرف محمد البكري، الثقافة الجديدة (الطبعة)، ع ١١، ١٩٧٨. (المترجم).

□ لقد سار اختزالُ الكتابة، ومعه اختزالُ برائية الدال، جنباً إلى جنب مع مركزية الصوت واللوجوس. ونحن على علم كيف قام سوسير من خلال عملية تقليدية اتبع فيها أفلاطون وأرسطو وروسو وهيجل وهوسرل، بطرد الكتابة من حقل اللسانيات (ومن ثم من حقل اللسان والكلام) باعتبارها ظاهرة تمثيل خارجية، وخطيرة وغير نافعة في الآن نفسه. في هذا الصدد يقول سوسير: "لا يتحدد الموضوع اللساني كتركيب من الكلمة المكتوبة والكلمة الشفوية، وذلك أن هذه الأخيرة تشكل لوحدها هذا الموضوع"، ويقول: "إن الكتابة غريبة عن النسق الداخلي للسان"، ليضيف: "تخجب الكتابة رؤية اللسان: إنها ليست لباساً له وإنما لباس تنكّر". إن العلاقة بين الكتابة واللسان "سطحية" و"اصطناعية". إذ "بلعبة غريبة" تغتصب الكتابة الدور الرئيسي، هي التي كان يلزمها أن تظل مجرد "صورة" للسان ف "تقلب بذلك العلاقة الطبيعية بينهما". إن الكتابة "فخ" و"فعلها" "شهواني" و"طاغ"، أما مساوئها فبشاعات وحالات تشوه ومسوخ "ينبغي على اللسانيات وضعها في مقصورة خاصة" ... الخ.

طبعاً إن هذه النظرة التمثيلية للكتابة ("اللغة والكتابة نسقان متميزان، وعلّة وجود الثاني هي تمثيل الأول") ترتبط بممارسة الكتابة الصوتية - الهجائية التي يعترف سوسير بأنه "يقصر" دراسته عليها. وبالفعل يبدو أن الكتابة الهجائية تمثل الكلام وتمحي أمامه. ونحن نستطيع في الحقيقة أن نوضح، كما حاولت ذلك بأنه لا وجود لكتابة صوتية خالصة، وبأن المتزعّ الصوتي ليس نتيجة لممارسة التهجي داخل ثقافة معينة بمقدار ما هو تمثيل لتجربة أخلاقية أوقية لهذه الممارسة. فالكتابة مطالبة بالإنحاء أمام كمال الكلمة الحية الممثّلة خير تمثيل في شفافية كتابتها والحاضرة بشكل مباشر للذات المتكلمة وللذات المتلقية لمعناها ولمضمونها ولقيمتها.

وإذا نحن تركنا الاختصار على نموذج الكتابة الصوتية، الذي لا يحظى بالأفضلية إلا لأننا متمركزون حول الصوت، وإذا نحن استوعبنا واقع عدم وجود كتابة صوتية خالصة (نظراً للتباعد الضروري بين الأدلة ونظراً للتنقيط والفراغات والاختلافات اللازمة لاشتغال الوحدات الخطية graphemes . . . الخ.)، فإن المنطق العقل مركزي والصوت مركزي يغدو إشكالياً. إن هذا التحرير يظل لازماً إذا نحن أردنا، وبشيء من الانسجام، أن نأخذ بعين الاعتبار مبدأ الاختلاف بالشكل الذي يذكره به سوسير نفسه. فهذا المبدأ لا يملينا

فقط تفضيل مادة (المادة الصوتية التي تُدعى أيضاً المادة الزمنية) وطردُ أخرى (هي هنا المادة الخطية المسماة أيضاً بالمادة الفضائية). وإنما أيضاً اعتبار كلِّ عملية دلالة لعبة صورية من الاختلافات أي من الآثار.

لماذا قلنا لعبة صورية من الاختلافات والآثار؟ وبأي حق نعيد إدماج الخطي grammatique في اللسان، في الوقت الذي أزيحت فيه كل مادة، صوتية كانت أم خطية أم غيرها؟ لا يتعلق الأمر هنا طبعاً بتوظيف مفهوم الكتابة نفسه والقيام ببساطة بقلب اللاتوازي الذي شككنا فيه، بل الأمر يتعلق بإنتاج مفهوم جديد للكتابة نستطيع تسميته حرفاً gramme أو اختلافاً. أما لعبة الاختلافات فتتطلب تركيبات وإحالات تمنع أن يكون أيُّ عنصر بسيط، في أية لحظة وبأي شكل من الأشكال، حاضراً لذاته وفي ذاته. وسواء كان الأمر متعلقاً بالخطاب الشفوي أو المكتوب فإن أي عنصر لا يمكنه أن يشتغل كدليل دون الإحالة على عنصر آخر لا يكون هو نفسه حاضراً حضوراً بسيطاً. هذا التسلسل يجعل من كل عنصر "وحدة صوتية كان او خطية" متكوناً انطلاقاً مما يوجد فيه من العناصر الأخرى من السلسلة أو النسق. إن هذا التسلسل أو النسج هو النص الذي لا ينتج نفسه إلا من خلال تحويل نص آخر. ففي العناصر والنسق لا شيء يكون ابداً عدماً أو حضوراً وغياباً بسيطاً، إذ لا وجود كلية إلا للاختلافات وآثار الآثار. إن الحرف يكون إذن المفهوم الأكثر شمولية للسيمولوجيا التي تغدو علم كتابة (جراما تولوجيا)، وسيكون من ثم ملائماً ليس فقط لحقل الكتابة بمعناه الضيق والكلاسي ولكن أيضاً لحقل اللسانيات. فهذا المفهوم إذا تم وضعه داخل سياق تاويلي (ذلك لأنه كباقي المفاهيم الأخرى ليس دالاً بذاته ولا مكتفياً بذاته) سيصبح ذا أهمية قصوى. تكمن هذه الأهمية في كونه سيُوقف مبدئياً المنزع الصوتي للدليل ويعمل على خلق توازنها الفعلي وذلك عبر تحرير كل الحقل العلمي لـ "المادة الخطية" (اعني تاريخ ونسق الكتابات خارج المجال الغربي) والتي تُركت رغم أهميتها في العتمة والدونية.

إن الحرف باعتباره مغايرة، وبنية وحركة لا يتركنا إطلاقاً نفكره انطلاقاً من التعارض حضور / غياب. فالمغايرة هو اللعبة المنهجية للاختلافات وآثار الاختلافات وللتباعد الفضائي الذي يجعل العناصر يحيل الواحد منها إلى الآخر.

التباعد الفضائي هو الانتاج السكوني والنشط في آن واحد (أو المغايرة تشير إلى هذه الحيرة أمام النشاط والسكون، وهو ما يجعلها تتصل من قصيدة هذه الثنائية وتوزيعيتها) لفراغات الفاصل الذي بدوره لن تستطيع الكلمات المليئة (بالمعنى) أن تكون دالة وبالتالي أن تشتغل. إنه أيضا صيرورة فضائية للسلسلة الشفوية ذات الطابع الزمني الخطي. وحدها هذه الصيرورة الفضائية تجعل من الكتابة ومن كل تلاقٍ بين الكلام والكتابة، وكذا من كل انتقال من الواحد إلى الآخر، ممكناً.

إن النشاط أو الإنتاجية التي توحى بها المغايرة تحيل إلى الحركة التوليدية داخل لعبة الاختلافات. فهذه الأخيرة ليست وحياً نزل من السماء وليست متممة بشكل لا رجعة فيه إلى نسق مغلق أو إلى بنية ساكنة تستطيع أية عملية تزامنية أن تستنزفها. الاختلافات نتاج تحولات، ومن هذا المنظور فإن موضوع المغايرة لا يوائم الحافز الساكن والتزامني والتصنيفي واللاتاريخي... الذي ينهض عليه مفهوم البنية. فهذا الحافز كما هو معروف لا يتنظم لوحده مفهوم البنية وعملية إنتاج الاختلافات، أي المغايرة، ليست لانبوية: فهي تنتج تحولات منتظمة ومنهجية تستطيع إلى حد ما إنشاء علم بنائي science structurale. إن مفهوم المغايرة يتطور أيضا الضرورات المبدئية الأكثر مشروعية للنبوية (6).

فاللسان إذن، وكل شفرة سيميائية عموماً (وهو ما يسميه سوسير بـ "التصنيفات") نتائج وآثار، لكن علتها لا تكمن في ذات أوماهية أو كائن يكون حاضراً في مكان ما ومنفلاً من حركة المغايرة. وبما أنه لا وجود لحضور خارج وقبل المغايرة فبإمكاننا أن نضفي على نظام الأدلة عموماً ما يقوله سوسير بخصوص اللسان: "اللسان ضروري لكي تصبح الكلمة معقولة وتُفسي بنتائجها إلا أن هذه الأخيرة ضرورية بدورها كي يتأسس اللسان. إن الكلام باعتباره حدثاً سابقاً تاريخياً وأبداً". هناك إذن دائرة، ذلك أننا إذا ميزنا بحزم بين اللسان والكلام وبين السنن والرسالة والخطاطة والاستعمال... الخ وإذا أردنا مع ذلك إعطاء الحق لكل منهما فإننا لن نعرف عموماً من أيها نبدأ: من اللسان أم

6 في "القوة والدلالة" يناقش دريدا كتاب جان روسيه Jean Rousset: الشكل والدلالة، و من خلاله الفرضيات التي تظل البنيوية من خلالها مشدودة إلى التقليد الفكري للغرب، وكذا التناقضات الداخلية للتحليل البنيوي عامة. و يجعل دريدا الوعي الشقي للبنيوية بقوله: "تميش البنيوية داخل وعلى الاختلاف بين ما نذرت نفسها له وبين المتحقق فعلاً". الكتابة والاختلاف، ص 44. (الترجم)

من الكلام؟ ينبغي علينا إذن قبل إقامة أي فصل بين اللسان والكلام والشفرة والرسالة . (مع كل ما يستتبع ذلك) قبول إنتاج نسقي للاختلافات أي قبول إنتاج نسق من الاختلافات (اعني المغايرة) يمكننا مستقبلاً، عبر نتائجه وانطلاقاً من حوافز محددة، من إقامة لسانيات للسان وأخرى للكلام . . . الخ .

لا شيء ولا كائن حصر وغير اختلافي يسبق إذن المغايرة والتباعد . ليس هنالك من ذات تكون مساعدة أوسيدة للمغايرة إليها يمكن أن تنتمي وبشكل اختباري . لهذا يُذكر في كلمة المغايرة *différance* أيضاً بأن التباعد الفضائي هو تأجيل ومداورة ومهلة من أجلها يتم دائماً اختلاف الحدس والإدراك والاستهلاك، أو باختصار اختلاف العلاقة مع الحاضر والإحالة إلى واقع حاضر وإلى كائن *étant* مُعين . إن اختلافاً كهذا يتم تبعاً لمبدأ اختلاف نفسه، الذي يفرض ألا يشتغل أي عنصر أويُبدل، وألا يأخذ معنى أو يمنحه إلا في حالة إلى عنصر سابق أو لاحق، وذلك تبعاً لاقتصاد خاص بالآثار *traces* . إن الطابع الاقتصادي للمغايرة هذا، وهو يلجأ إلى أعمال حساب لا واع داخل حقل قوى مُعين، يظل مرتبطاً ارتباطاً حميماً بالطابع السياسي . إنه يؤكد أن الذات المتكلمة والواعية هي أولاً رهينة الاختلافات وحركة المغايرة، ونها لا تشكل في المغايرة إلا بانقسامها وبتباعدها الفضائي وب "تأجيلها" واختلافها، وأن "اللسان الذي لا يتألف إلا من الاختلافات - كما يقول سوسير - ليس وظيفة للذات المتكلمة"، إن كل المتعارضات الميتافيزيقية تجدد في حضور الحاضر مرجعاً لها وتأخذ من نه شكل هوية الذات الحاضرة في كل العمليات، والحاضرة في كل أعراضها وأحداثها، والحاضرة لذاتها في "كلمتها الحية"، وفي ملفوظاتها، وفي الموضوعات والأفعال الحاضرة في لغتها . . . الخ . وفي اللحظة التي يتدخل فيها مفهوم الاختلاف، ومعه السلسلة التي ترتبط به، فإن كل المتعارضات المفاهيمية للميتافيزيقا (دال / مدلول، محسوس / معقول، كتابة / كلام، كلام / لسان، تعاقب / تزامن، فضاء / زمن، سكون / نشاط . . . الخ .)، تصبح لاغية . إنها متعارضات تهدف كلها في لحظة أوفي أخرى إلى إلحاق حركة المغايرة بحضور قيمة أو معنى يكون سابقاً على المغايرة وأكثر أصالة منها، يتجاوزها ويتحكم في آخر المطاف فيها . إنه ما أسميناه من قبل حضور "المدلول المتعالي" .

■ يدعي البعض أن مفهوم المعنى في السيميائيات* يختلف اختلافاً عن مفهوم "المعنى" الفينومينولوجي. لكن رغم ذلك ما نوع التواطؤ الذي يربط بينهما، وإلى أي حد يظل المشروع السيميولوجي محصوراً داخل نطاق الميتافيزيقا؟

□ صحيح أن امتداد المعنى كمفهوم فينومينولوجي يبدو أكثر اتساعاً وأقل تحديداً؛ بل إنه من الصعب أن نتعرف له على حدود، إذ أن كل تجربة هي تجربة للمعنى (sinn). فكل ما يتبدى للوعي وكل ما يوجد بالنسبة للوعي هو عموماً معنى. فالمعنى هو ظاهرة *phenomenal* الظاهرة. لقد كان هوسرل في كتابه "أبحاث منطقية" يرفض تمييز فريج Frege بين المعنى *sinn* والدلالة *bedeutung*، إلا أنه وجد لاحقاً أن هذا التمييز مفيد - لا كما تصوره فريج - لوسم التمايز بين المعنى في امتداده الأكثر عمومية (sinn) والمعنى كملفوظ لساني أو منطقي، أي المعنى بوصفه دلالة. هنا في هذه النقطة يمكن أن تبدى التواطؤات التي أشرت إليها. هكذا مثلاً:

١) لكي يعزل المعنى *sinn* أو *bedeutung* عن الملفوظ أو قصدية الدلالة *bedeutung-intention* التي "تتحرك" الملفوظ كان هوسرل بحاجة لأن يميز بحزم بين الوجه الدال (المحسوس) الذي يقر بأصاته وإن أبعد عن إشكاليته المنطقية والنحوية، والوجه المدلول المعقول المثالي و"الروحي". وربما سيكون مفيداً هنا استحضار مقطع من "أفكار" لهوسرل: "إننا نتبنى كنقطة انطلاق التمايز المعروف بين الوجه غير المحسوس، أولنقل الوجه الجسدي للتعبير، وبين الوجه المحسوس أو "الروحي". لسا هنا لندخل في نقاش حاد حول الوجه الأول وحول الشكل الذي به يتحد الوجهان. فمن الطبيعي أننا بذلك نشير إلى عناوين المشاكل الفينومينولوجية ذات الأهمية الخاصة. سنتحدث فقط عن إرادة القول أو القصدية *bedeuten* وعن الدلالة *bedeutung*. ترجع هذه الكلمات في الأصل إلى الدائرة اللغوية *sprachliche* sphere، دائرة التعبير. لكننا، وهذا شيء له أهمية في النظام المعرفي، لا نستطيع أن نتفادى توسيع دلالة هذه الكلمات وإخضاعها لتغيير ملائم يمكننا من أن نطبقها على نحواً على

* للمحافظة على الفارق اللساني بين *Semiotique* و *Semiotologie* ترجمنا الثانية بالسيميائيات، وإن كانتا معا تحيلان إلى البحث العلمي في الأدلة. (الترجم)

دائرة التفكير والتجربة، أي على كل الأفعال سواء أكانت مترابطة أم لا مع الأفعال التعبيرية. هكذا سبق أن تحدثنا باستمرار، في حالة كل المعيشات القصدية، عن "المعنى"، وهي كلمة مطابقة عموماً لـ *bedeutung* (دلالة). وحتى نكون أدقّ خصصنا كلمة *bedeutung* للتعبير عن الفكرة القديمة التي تبدّى خصوصاً في عبارة من قبيل *bedeutung logique* دلالة منطقية أو *expressive* تعبيرية. أما كلمة معنى فلا زلنا نستعملها في امتدادها الأوسع. هكذا، فالمعنى سواء أكان "مدلولاً" أم معبراً عنه أم متشابكاً مع عملية دلالة، فهو عبارة عن مثلية *ideality* معقولة أوروحيّة يُمكنها أن تتحد بالوجه المحسوس الدالّ لكنها تظل في غنى عنه، مكتفية بذاتها. إن حضوره ومعناه، أولنقل جوهر معناه، لا يقبل أن يُفكر إلا خارج هذا التشابك، إذا اعتبرنا أن الفيנוمينولوجي كالسيمياثي يدعي الرجوع إلى وحدة خالصة أي إلى وجه من المعنى أو المدلول يسهّل التعرف عليه بسرعة.

(2) إن هذه الفرشة من المعنى أو المدلول الخالص تحيل علينا عند هوسرل، وبشكل ضمني على الأقل في الممارسة السيمياثية، إلى فرشة للمعنى قبل لغوية وقبل سيمياثية وقبل تعبيرية يقول هوسرل) يكون حضورها قابلاً للتفكير خارج المغايرة وقبلها، خارج عملية أونسق الدلالة. وقبلها. هذه العملية الأخيرة هي فقط توليد المعنى وترجمته ونقله وتوصيله وتجسيده والتعبير عنه ... الخ. إن معنى كهذا هوفي الحالين معاً معنى فينومينولوجي، أي في آخر المطاف كل ما يحضر أصلياً للوعي في شكل حدس إدراكي. ولذا فهو لن يكون منذ البدء في موقع دال يدخل في النسيج الاختلافي الذي يجعل منه مسبّقاً إحالةً واثراً وحرفاً، وتباعداً فضائياً. لقد كانت الميتافيزيقا دائماً، وهوما نستطيع التذليل عليه، تعمل على انتزاع حضور المعنى (سواء بهذا الاسم أم بأسماء أخرى) من المغايرة. ونحن حين نقوم بانتزاع أو عزل جهة أو شريحة ما من المعنى أو المدلول الخالصين نكون نقوم بنفس العمل. فكيف يمكن لسيمولوجيا من هذا النوع أن تتخلص ببساطة من كل رجوع إلى هوية المدلول؟ ما يتم إذن هو إقامة علاقة برانية بين المعنى والعلامة وبين المدلول والدالّ، بل المسألة تسير إلي أبعد مع هوسرل، بحيث يتحول عنده الدالّ إلى إخراج *exteriorization* وتعبير عن المدلول. لتحدد اللغة هنا كتعبير (ككشف عن حميمية الدّاخل) بحيث نعثر لدى هوسرل على كل المشاكل التي تحدثنا عنها أنفاً عند سوسير. لقد حاولت

في مقام آخر (7) الإشارة إلى النتائج التي تربط الفينومينولوجيا بآتمها إلى حظوة التعبير هذه، وإلى طرد "الإشارة" خارج دائرة اللغة الخالصة (أى خارج "منطقية" اللغة) وبالتالي إلى الأفضلية المخصصة ضرورة للصوت ... الخ. إن هذا الارتباط يتبدى عند هوسرل منذ "الأبحاث المنطقية" ومنذ المشروع الرائع لـ "النحو المنطقي الخالص" وهو بحث أكثر أهمية ومتانة من كل المشاريع المتعلقة بإنشاء "نحو عام عقلي" في القرنين 17 و18، الذي ما فتىء يشكل مرجعاً لبعض اللسانيين الحديثين.

■ إذا كانت اللغة تعبيراً، ومن ثم يكون انغلاقها، فإلى أي حد وعن طريق أية ممارسة يمكن تجاوز هذه الطبيعة التعبيرية؟ وإلى أي حد تكون اللا تعبيرية دالة؟ أليس علم الكتابة "سيمولوجيا" لا تعبيرية تنهض على توسيمات منطقية ورياضية لا لسانية؟

□ أنا مدعوٌ هنا لأن أجيب ظاهرياً بطريقة معاكسة. فمن جهة لا يمكن أبداً وبساسة تجاوز النزعة التعبيرية، ذلك لأنه من المستحيل اختزال أثر المغايرة المتمثل في بنية التقابل البسيط بين الداخل والخارج، وكذا اختزال أثر اللغة الذي يدفعها إلى أن تتمثل نفسها كإعادة تمثيل تعبيرية وضاعطة أو ترجمة في الخارج لما يتكون في الداخل. إن تمثّل اللغة كـ "تعبير" ليس فكرة مسبقة وعارضة، إنها خدعة بنائية، وهو ما يصطلح عليه كأنط بالوهم المتعالي الذي يتغير بحسب اللغات والعصور والثقافات. داخل هذا الوهم تشكل الميتافيزيقا الغربية بدون شك تنظيمًا نسقياً قوياً، إلا أننا لن نغالي بطيش فنذهب إلى القول بأنها المكون الوحيد.

من جهة ثانية: وبشكل معاكس، يمكن القول إنه إذا لم يكن هذا الطابع التعبيري قابلاً للتجاوز بشكل بسيط ونهائي فإنه قد تُجَوَّزَ من زمن، أحياناً ذلك أو كرهناه، علمنا بذلك أم جهلنا به. فيما أن ما نصطلح عليه بـ "المعنى" (القابل للتعبير) مكون في جوانبه كلها من نسيج من الاختلافات وبما أن النص موجود مسبقاً كشبكة من الإحالات النصية

(7) يحيل دريدا هنا إلى: الصوت والظاهرة، وإلى الشكل وإرادة القول، هامش حول فينومينولوجية اللغة، و بالأخص إلى ص 196، حيث يمكن أن نقرا: "و يقوم هوسرل بوضع قاعدة عامة تقضي بأن تكون إرادة القول فعلاً للتعبير. فكل شيء يمكن قوله حتماً ومبدئياً، وكل شيء مطالب ضرورة بالتواصل إلى العمومية المفاهيمية التي تشكل أصلاً منطقية اللوجوس" هامش الفلسفة، ص 196. (الترجم).

لنصوص أخرى وكتحول نصي يوسم فيه كل طرف مكون - رغم بساطته - باثر طرف آخر، فإن الطابع الداخلي المزعوم للمعنى يقع مسبقاً تحت تأثير خارجه ذاته ويكون مسبقاً مغايراً (*differante* (لذاته) قبل أي حدث تعبير؛ وبهذا الشرط فقط يمكن أن يشكل نظاماً syntagmaticاً أو نصاً، بل بهذا الشرط فقط يمكنه أن يكون "دالاً". من هذا المنظور لا ينبغي أن نتساءل عن الحدود التي تصبح فيها اللاتعبيرية دالة. فوحدها اللاتعبيرية تكون دالة إذ لا وجود بتاتاً لدلالة ما إلا بوجود التركيب والنظم والنص. إن مفهوم النص حين تفكره في كل مؤدياته متعارض مع المفهوم الأحادي الجانب للتعبير. طبعاً حين نقول بأن النص وحده دال فإننا بذلك نكون قد حولنا مسبقاً قيمة الدلالية *significance* والدليل، ذلك أننا إذا أخذنا الدليل في انغلاقه الكلاسي الأكثر صرامة فإننا سنقول العكس: الدلالة تعبير النص الذي لا يعبر عن شيء لا دلالة له... الخ. أمام علم الكتابة كعلم للنصية *textualité* فلن يصير "سيميولوجيا" غير تعبيرية إلا بشرط تحويل مفهوم الدليل وانتشاله من نزعته التعبيرية الوراثة.

أما الجزء الأخير من سؤالك فهو أكثر صعوبة. من الواضح أن التحفظ، أو بالأحرى المقاومة المضادة للكتابة المنطقية الرياضية كانت من توقيع المركزية العقلية أو المركزية الصوتية هي هيمنتها على الميتافيزيقا والمشاريع السيميولوجية واللسانية الكلاسية. فالنقد الذي وجهه روسو وهيجل وآخرون للكتابة الرياضية غير الصوتية (مثلاً في مشروع لاينتز حول علم الحروف *la caractéristique*) سيستعاد من طرف سوسير بطريقة دالة للغاية ليسير جنباً إلى جنب مع تفضيله الصريح للغات الطبيعية. إن علم كتابة يريد الانسلاخ عن نسق الفرضيات هذا يتوجب عليه إذن إعطاء الحرية لتريض *mathematization* اللغة، والوعي بأن "الممارسة العلمية لم تقتر عن الاحتجاج ضد امبريالية اللوغوس في استعمالها مثلاً ومنذ نشأتها للكتابة الصوتية (8)؛ فكل ما كان يربط دوماً بين اللوجوس والصوت *phone* وجد حدوده مع الرياضيات التي جاء تطورها منسجماً ومتعاضداً مع ممارسة الكتابة اللاصوتية. ولا يمكن أن يتناهى الشك أبداً في هذا المبدأ أو هذا الدور الجراماتولوجي للرياضيات. لكن العمل على توسيع طريقة الكتابة الرياضية وبصفة عامة شكلنة *formalisation* الكتابة، يلزم أن

يتم ببطء وحذر إذا كنا نريد منها الإمساك الفعلي^٩ بناصية الميادين التي كانت إلى حد الآن قد سُحبت من ملكيتها. إن عملاً نقدياً حول اللغات "الطبيعية" نفسها، والقيام بتحويل داخلي لطريقة الكتابة الكلاسية وكذا الممارسة المنطقية للتداول بين اللغات والكتابات "الطبيعية" يلزمه فيما يدولي أن يبيء لعملية الشكيلة تلك ويسايرها. إنها مهمة مستمرة، وسيظل من المستحيل - ولأسباب جوهرية - الاختزال المطلق للغات الطبيعية ولطرائق الكتابة غير الرياضية. ومن اللازم التحذير هنا من الوجه "الساذج" للشكلانية والنزعة الرياضية الذي كانت مهمته داخل حفل الميتافيزيقا (حتى لأنسى ذلك) العمل على تكريس واكتمال اللاهوت والمركزية العقلية فيما كان يستطيع من ناحية أخرى معارضتهما. هكذا مثلاً لا ينفصل مشروع الكتابة العالمية اللاصوتية لدى لايتنيز عن ميتافيزيقا البسيط ومن ثم عن وجود الفهم الإلهي *entendement divin* واللوغوس الإلهي (٩).

إن التقدم الفعلي لطريقة الكتابة الرياضية يسير بموازاة مع تفكيك بناء الميتافيزيقا ومع التجديد العميق للرياضيات نفسها ومع مفهوم العلم الذي ظل دائماً نموذجها الفعلي.

■ إذا كان التشكيك في مفهوم الدليل تشكيكاً في مفهوم العلمية نفسه، فإلى أي مدى يمكن اعتبار علم الكتابة "علماً" أو غير علم؟ هل تعتبر أن بعض الأعمال السيميائية تقارب مشروع علم الكتابة وإذا كان الأمر كذلك فما هي؟

□ إن مهمة علم الكتابة هي خلخلة كل ما يُلقحُ مفهوم وقواعد العلمية باللاهوت الأونطولوجي وبالمركزية العقلية والصوتية. إنه عمل هائل ولا نهائي، وهو باعتباره خرقاً للمشروع الكلاسيكي، مطالبٌ على الدوام بتفادي السقوط مرة أخرى في التجريبية القبلية علمية. وهذا يفترض سجلاً مزدوجاً في الممارسة الجراماتولوجية: إذ يلزم في الآن تجاوز النزعة الوضعية والعلمية الميتافيزيقيتان وشحذ كل ما يساهم - داخل الاشتغال العلمي

٩ ، ' لكن يكفيني حالياً أن أشير إلى أن أساس علم الحروف لدي هو نفسه أساس التدليل على وجود الله. ذلك أن الأفكار البسيطة هي عناصر علم الحروف والأشكال البسيطة هي منبع الأشياء و إذن فإني أَدافع عن كون كل الأشكال البسيطة متلائمة فيما بينها. إنه اقترح لن أستطيع التدليل عليه بدون أن أفسر، أثناء ذلك، أسس علم الحروف. وإذا ما تم ذلك فالنتيجة هي أن طبيعة الله التي تحتوي على كل الأشكال البسيطة في انغلاق محكم، تكون مُمكنة. و تكون بذلك قد دللنا أيضاً على أن الله موجود، فقط نتظر منه أن يكون مُمكناً. و إذن فهو موجود. وهو الشيء الذي كنا مطالبين بالتدليل عليه. "لايتنيز، رسالة إلى الأميرة إليزابيث، (1978).

الفعلي - في تحريرها من العوائق الميتافيزيقية التي تتحكم في مجال حركتها منذ بدايته . إن المطلوب هو متابعة وتعصيد ما برهن داخل الممارسة العلمية على أنه في طور الخروج من الانغلاق العقل مركزي ، لهذا لا يمكن إعطاء جواب بسيط حول معرفة ما إذا كان علم الكتابة علما . سأقول بكلمة واحدة بأنه يؤسس العلم ويحرره من حدوده ، كما يفرض عليه أن يعمل بحرية وحزم داخل كتابته الخاصة على تشغيل قواعد العلم . إنه بذلك ، ومرة أخرى يسم ويوسع حدود انغلاق حقل العلمية الكلاسي .

ولنفس السبب يمكن القول بأنه لا وجود لعمل سيميائي علمي لا يكون في خدمة علم الكتابة . ونحن باستطاعتنا دائما توجيه النماذج الجراماتولوجية المنتجة من طرف الخطاب السيميائي ضد الفرضيات الميتافيزيقية لهذا الخطاب نفسه . وانطلاقاً بالضبط من المكون الشكلياني المختلف *different* الحاضر في "دروس . . ." سوسير ، يمكن القيام بنقد النزعة النفسية والمركزية الصوتية وكذا نزعة طرد الكتابة ، وهي نزعات لها نفس الحضور في كتاباته ذاتها . ونفس الأمر نقوله بخصوص جلوسيماتية يلمسليف . إن نقد النزعة النفسية السوسيرية وإبطال ماهيات التعبير (ومعها النزعة الصوتية) ونقد النزعة البنيوية ونزعة المحايثة *immanence* والميتافيزيقا ، إذا ما تم الوعي بتناججه ، لا يمكن إلا أن يؤدي إلى نفي كل مفهومية *conceptualite* ميتافيزيقية يتم تصريفها في ثنائية : التعبير / المضمون المرتكزة على ثنائية الدال / المدلول ، وفي ثنائية الشكل / الماهية المطبقة (من طرف يلمسليف) على طرفي الثنائية الأولى وكذا في مبدأ الاختيارية . . . الخ (10) .

قبلياً ، يمكن القول بأن الفرضيات الميتافيزيقية تتعايش مع المكونات النقدية في كل اقتراح أو نظام بحث سيميائي . وأنت لك المؤهلات الكافية لإعطاء أمثلة أكثر راهنية على ذلك . إن هذا التعايش يتم فقط لأنها تسكن إلى حد ما نفس اللغة أو بالأحرى نفس اللسان . ولن يكون علم الكتابة بدون شك علماً جديداً أو مجالاً علمياً جديداً حاملاً للمضمون جديد ومبشراً بميدان جديد أكثر تحديداً ، بقدر ما سيكون الممارسة اليقظة لهذا الانشطار النصي .

مَواقِع*

حوار مع: جيمي سكاريتا و جان - لوي هودوين

تنبیه

هذه الحوارات الثلاث الوحيدة التي شاركت فيها تخص منشورات راهنة . إنها تشكل سواء من جانبي أم من جانب محاورتي حركةً تاويل نشيط . وباعتبارها محدّدة ومؤرخة فإنها قراءة لعمل أجد نفسي ملتزماً به وهو عمل ليس رهيناً بي وحدي بقدر ما هو لا يراوح عند الحدود التي رسمتها هذه الحوارات . إن وضعية كهذه قابلة أيضاً للقراءة، فهي قد تحكمت في هذه التبادلات الحوارية سواء في تحقيقها أم في شكل ومضمون ملفوظاتها . لذا فإنها لا تحتل أية إضافة .

جاك دريدا . ماي 1972

خلال كتابة هذا الحوار الشفوي الذي تم في 17 يونيو 1971 أضيفت إليه بعض العناصر التكميلية :

(1) هوامشُ اقترحها جاك دريدا، هدفها توضيح بعض جوانب النص التي سها عنها

الرجال الجواب .

(2) هوامشُ من هيئة التحرير مُهمتها أن تحدد، داخل نصوص دريدا، بعض التحليلات الكفيلة

بإضاءة بعض مؤديات الحوار . كما تهدف هذه الهوامش إلى اختزال تطوير تحليلي ما أوفي الغالب إلى إبراز الخلط أو التأخر الذي يسم بعض الاعتراضات الراهنة على كتابات دريدا .



■ ج - ل هودبين : لكي نفتتح هذا الحوار بإمكاننا الانطلاق مجدداً من نقطة ملحاحة في هذا النص الذي لم يفتأ ينكتب وينقري هنا وهناك منذ سنوات عديدة . يمكننا الانطلاق مجدداً من "لفظ" أو "مفهوم" المغايرة "الذي ليس (. . .) حرفياً ، كلمة ولا مفهوماً" ، أي من محاضرة 27 يناير 1968 المنشورة في " النظرية الجامعة " *Theorie d'ensemble* * فأنت تتحدث فيها عن تجميع مختلف توجهات بحثك آنذاك والنسق العام لاقتصادها في "كومة" *faisceau* . وقد كان ذلك أيضاً إعلاناً ، فيما يخص موضوع الاختلاف ، لإمكانية "نفثها" ، باعتبار أن الاختلاف مطالب بأن "ينصاع طواعية" لاستبداله أو على الأقل لارتباطه بسلسلة لم تستطع في الحقيقة التحكم فيها أبداً .

هل يمكنك إذن أن توضح لنا ، على الأقل كمدخل لهذا الحوار ، الوضع الراهن لبحوثك التي يبدو مباشرة أن فعاليتها ذات بعد هائل في الحقل الإيديولوجي لعصرنا؟ ثم هلاً وضحت لنا مآل تطور هذا الاقتصاد العام الذي عبر عن نفسه أخيراً في ثلاثة نصوص جديدة يمكن اعتبارها تعبيراً عن اختلاف جديد للكومة ، أعني قراءتك لأعداد *nombres* سولرس *ph. Sollers* ثم "المقامة المزوجة" و "الميثولوجيا البيضاء" وهما نصان ظهرا في نفس الوقت؟

□ إن موضوع المغايرة *différance* حين تُكتب بهذا الحرف a الصامت فإنها لا تشكل مفهوماً بل إنه لا تكون كلمة؛ وهذا ما حاولت التدليل عليه في مقام آخر (1) . لكن هذا لا

* منشورات سوي ، و المنشور لاحقاً ضمن : هوامش الفلسفة (المترجم) .
 (1) "إنها (أي *différance*) تقترح نفسها عبر سمة خطية صامتة أي عبر بَيَان مُضْمَر أو بالأحرى عبر هَرَم . وحين أصرح بذلك لا أفكر فقط في شكل الحرف a ، ولكن أيضاً في نص من نصوص أنسيكلوبيديا هيجل حيث تتم مقارنة جسد الدليل بالهرم المصري . (هوامش الفلسفة ، ص 42) . هذا الإيحاء يتم تطويره في بحث آخر هو : "البئر والهرم ، مدخل لسيمولوجيا هيجل" ص 079 . وهو بحث يعارض بين خطاب اللوغوس الذي يتشتمل الحقيقة الساطعة والغريفة من عمق البئر من جهة ، والكتابة الأكثر قدماً من الحقيقة ، والتي تسم نفسها على جبهة الهرم من جهة أخرى . (المحرر الفرنسي)

يمنعها أبداً من إنتاج آثار مفاهيمية وتكتلات كلامية أو إسمية تكون مطبوعة ومهشمة بحدّة هذا الحرف الغريب، وهي عملية تتطلب وقتاً كي تتراعى لنا. قال "الكومة" التي ذكرتها بها هي بؤرة التلاقي المنتظم؛ إنها بالخصوص الاستحالة البنيوية لإغلاق هذه الشبكة وتوقيف نسجها وبالتالي رسم هامش لها لا يكون هو نفسه وسماً *marque*. ولأن المغايرة لا يمكنه أن يتأسس ككلمة سيّدة لذاتها أو كمفهوم قائم بذاته خارج أية علاقة مع اللاهوتي، فإنه يتموضع داخل عمل يقوم هويّياته من خلال سلسلة من المفاهيم و"الألفاظ" الأخرى وكذا من خلال تمظهرات نصية مغايرة. وقد تسنح لي الفرصة لاحقاً كي أثير لم فرضت الكلمات الأخرى هذه نفسها في ذات الوقت أو بتتابع، ولم نحن مضطرون لمنحها قيمة الإلحاح، أعني مثلاً "مفاهيم" من قبيل: الأثر *trace*، الحرف *gramme*، البدء التباعد *espace-ment*، البياض (معنى أبيض، دم أبيض، بدون بياض، مائة بياض، طيف) * (2)، الإضافة *supplement*، الدواء - السم *pharmakon*، والهامش - السمة - السير... الخ إن هذه اللاتحة لا نهاية لها، وهي ليست تصنيفاً مغلقاً من حيث المبدأ لذلك فهي لا تشكل أبداً معجماً أولاً لأنها ليست ذرّات (معاني ذرية أولية)، بل هي بؤر تكثيف اقتصادي وأمكنة مرور ضروري لكثير من السمات. إنها حفر أكثر فوراناً كما أن آثارها المفرزة لا تنكمش على نفسها من خلال التعاطف المغلق مع الذات، إنها تنشر على شكل سلاسل تشمل مجموع النص في جانبيه النظري والتطبيقي، كل مرة بشكل مغاير. أشير بسرعة إلى أن كلمة "نفي" (حل) *relève* التي استشهدت بها في سؤالك قد فقدت في ذاك السياق المعنى التقني الذي أخصصه لها لترجمة ال *aufhebung* الهيجلي. إذا كان يوجد تعريف ما للاختلاف فلن يكون حدّاً وقطعاً وهدماً للنفي الهيجلي حيثما كان فاعلاً (3). إن الرهان هنا ضخم بخصوص النفي *aufhebung* الهيجلي كما يتأوله خطاب هيجلي معين. ذلك أنه

* يلعب الكاتب على الجنس اللفظي للمفردات التالية:

sens blanc, sang blanc, sans blanc, cent blanc, seinblanc. ثم على التطابق بين المقاطع *syllabes* الأولى المكونة للكلمات

التالية: *mage, marque marche*. (لترجم)

(2) انظر "المقامة المزدوجة". (م. ف)

* يترجم دريدا كلمة ال *aufhebung* الهيجلية بـ: *relève* عوض: *negation* إذا تعني الأولى - من ضمن ما تعنيه - النفي و توجيه النفي باتجاه مستوى أعلى، وهي دلالات ثلاث الخطاطة العامة للجدل الهيجلي. (لترجم)

(1) في علم الكتابة، ص. 40 و"من الاقتصاد الضيق إلى الاقتصاد العام". (م. ف)

يتبعها. إن ضرورة هذه المرحلة ضرورة بنيانية لأنها مرحلة تحليل لانتهائي؛ ذلك أن تراتبية المتعارضة الثنائية تعيد تشكيلها باستمرار. وخلافاً للكتاب الذين يفنون قبل موتهم الجسدي فإننا نعتبر أن لحظة القلب هذه ليست أبداً وقتاً ضائعاً أوميتاً.

من جهة أخرى، يعني الوقوف عند هذه المرحلة العمل داخل أرضية ونظام ما نريد خلخلة تركيبه. ما يلزم إذن هو أن تكون هذه الكتابة المزدوجة المترتبة والمنزاحة والفاصلة أداة لتأكيد الفاصل بين عملية العكس *inversion* (التي تجعل من الفوق تحماً وتفكك جينيولوجيته المتسامية ذات المنزع المثالي) والبرزوغ المفاجئ لـ "مفهوم" جديد يكون خاصاً بتعيين ما لا ينصاع وما لم ينصع أبداً للاحتواء داخل نظام سابق. إن هذا الفاصل أو الوجهة المزدوج لا يمكنه أن يكون إلا داخل كتابة منشطرة *bifide*. كما أنه لا يأخذ معناه إلا داخل مفهوم جديد للكتابة ينتج انقلاباً داخل التراتبية: كلام / كتابة (ومعها كل نظام يتصل بها) ويفجر في الآن نفسه الكتابة داخل الكلام نفسه فيخلخل نظامه ووصفته الجاهزة ويغزو كل مجاله. إن ذاك الفاصل لا يمكنه أن يوسم إلا داخل حقل كتابة نصية أسميها حقلاً متجمعاً، حيث لا نستطيع في حدود معينة تنظيمه أو تلخيصه. ولذا فإن نصاً خطياً وموقعاً زمنياً دقيقاً (5) أو عملية يقوم بتوقيعها مؤلف واحد لا يمكنها مبدئياً أن تمارس هذا الفاصل.

إن "التشتيت" أي النص الذي يحمل هذا الاسم، بما أنك طرحت سؤالك بهذا الصدد، وهو اكتشاف منهجي ومُمرّح لهذا "الفاصل" والمربح والتربيع والورقة والقانون والأربعة... الخ*. من ثم ولكي نسم هذا الفاصل كان من اللازم، داخل النص التاريخي والفلسفي وكذا النص المسمى "أديبا" (نص مالأرمني علي سبيل المثال)، تحليل وإعمال بعض السمات - وقد ذكرت بعضها ولا يزال هناك الكثير غيرها - التي سميتها عن طريق التناظر: كلمات لا متحددة *indécidables* أي وحدات سيمولاكرية أو خصائص لغوية وإسمية ودلالية "خاطئة" لا تندرج ضمن المتعارضة الفلسفية (الثنائية). إلا أن هذه المفردات تسكن المتعارضة وتقاوم فعلها، بل إنها تُخل بنظامها لكن دون أن تشكل أبداً حداً ثالثاً ودون أن تكون مدخلاً لحل ذي شكل جذلي / تأملي يكون عبارة عن تركيب

(٩) حول الموقع والدقة الزمنية انظر الكتابة والاختلاف (ص. 292)، وحول نقد الدقة الزمنية انظر الصوت والظاهرة و "الحضور والحرف". (م. ف.) وأضيف: إن التوقيع يتزاح من تلقاء ذاته. (ج. دريدا)

* يلعب دريدا على الجنس اللفظي بين الكلمات الآتية: *cart, cane, culture, coute, quatre*. (المترجم)

للمتناقضات. قال: pharmakon ليس داوياً بقدر ما هو ليس سماً وهو ليس الخير كما ليس الشر، ليس الداخل ولا الخارج، لا الكلام ولا الكتابة. كما أن الإضافة ليست شيئاً زائداً ولا ناقصاً، ولا هي بخارج ولا بتكملة للداخل، إنها ليست جوهرأً ولا عرضاً...

والمهبل ليس هو الاختلاط ولا التمايز. لا هو هوية ولا هو اختلاف، ولا هو استهلاك ولا هو عذرية، لا هو حجاب ولا هو تعرية، لا هو بالداخل ولا هو بالخارج... كما أن الحرف ليس بدالاً ولا بمدلول، فلا هو علامة ولا هو شيء، لا هو حضور ولا هو غياب، لا هو إيجاب ولا هو سلب... والتباعد لا هو فضاء ولا هو زمن، كما أن البدء ليس هو الشمولية البدئية للابتداء أو القطيعة البسيطة ولا الثانوية *secondarite* البسيطة. إن بنية النفي المزدوج: لا / ولا *ni/ni* هي في الآن نفسه هذا أو ذاك. أما السمة فهي أيضاً الحد الهامشي والسير... فما أحاول بالفعل القيام به هو توجيه العملية النقدية ضد الاحتواء المستمر لعمل السيمولأكر هذا داخل أي جدل من الصنف الهيجلي ينزع إلى إضفاء الطابع المثالي والدلالي على قيمة العمل هذه أيضاً. إن المثالية الهيجلية تتمثل أصلاً في حلّ المتعارضات الثنائية الكلاسيكية، وبالتالي حلّ تناقضاتها ضمن حدّ ثالث تكون مهمته نفي الاختلاف مع حله وإعطائه طابعاً مثالياً ومن ثم التسامي به داخل طوية ذات ذاكرة مطلقة وسجنه في داخل هو داخل الحضور للذات.

إن توضيح العلاقة مع هيجل عمل عويص لا زال لم يدرس في جانبه الأكبر، بل إنه يبدو عملاً نهائياً إذا نحن أردنا أن نقوم به بدقة وصرامة. ولأننا لا نزال بصدد توضيح هذه العلاقة، فقد حاولت التمييز بين المغايرة (الذي ينم الحرف فيه من ضمن ما يتم عنه، الطابع الإنتاجي والصراعي) والاختلاف الهيجلي. فهيجل يذهب إلى حد تعريف الاختلاف في «المنطق الكبير» كتناقض⁽⁶⁾، وذلك ليعمل على حله واستبطانه تبعاً

(6) إن الاختلاف عموماً هو قبل كل شيء التناقض في ذاته (هيجل). وحتى لا نظل ببساطة قابعين داخل عمومية التناقض المنطقي فإن الاختلاف (باعتباره عملية تمييز) تسمح بإقامة حساب تمييزي بين الأنماط الهيجية من الصراع أو إذا شئنا بين الصراعات. وإذا كنت قد تحدثت غالباً عن صراع القوى بدل التناقض فذلك أولاً لحيطة نقدية من المفهوم الهيجلي للتناقض ثم لأنه يفترض - كما يشير إلى ذلك اسمه - النفي داخل الخطاب الجدلي ودأخل محايثة مفهوم مسؤول عن برائته ويمتلك خارجه بالقرب من ذاته. أما اختزال المغايرة *difference* في الاختلاف *difference* فإنه يظل متخلفاً عن هذا النقاش. من ثم يأتي وسم الإضممار ذاك بالصياغة التالية: كتابة مضادة للقول مطروحة لإعادة القراءة " *scriptio contradiction, relire* " (التشيت ص. 182 و 403)، هكذا وعبر هذا التعريف فإن "اللا متحدّد" *indécidable* " وهو ليس التناقض في شكله الهيجلي، يقوم بالكشف عن لا وعي المتعارضة الفلسفية أي اللاوعي المعادي للتناقض في انتمائه لمنطق الكلام والخطاب والرعي والحضور والحقيقة... الخ، وذلك في معنى فرويدي جداً.

للصيرورة القياسية للجدل التأملّي داخل تركيب وجودي - لا هوتي ووجودي - غائي حاضر لذاته. إن المغايرة مطالبة بأن تُحدّد وتُموّق نقطة قطيعتها مع نظام النفي ونظام الجدلية التأملية. فكما أشرت إلى ذلك، هنا وفي مقام آخر (7)، وفي نقطة محاذاة شبه تامة لهيجل: كل شيء يتم في هذه النقطة الحاسمة بالذات، أي فيما سماه هوسرل بـ "الاختلافات الدقيقة في المعنى" وما سماه ماركس "الوحدة الصغيرة للمعنى". "إن هذا الطابع الصراعّي للمغايرة (8) الذي يمكن نعتّه بالتناقضي، إلا إذا فصلناه من خلال عمل تفكير طويل عن المفهوم الهيجلي، لا ينصاع لأي نفي أو حل". ولذا فالمغايرة تُوضع آثارها داخل ما أسميه النصّ العام، وهونص لا يسجن بنيته في الفضاء المختزل للكتاب أو المكتبة ولا يبيح لأي مرجع - بالمعنى الكلاسي - أولاي مدلول متعال أن يقوده وينظّم حركته. وانت ترى جيّداً أنني بالتجائي إلى مؤشّر المغايرة دون نظام الاختلاف والتناقض الهيجلي لا أرمي إلى نوع من المصالحة ولا أصدر عن هاجس تهدئة التناقض وتجميده. وإذن - وأنا أتابع سؤالك - فإن هذه السلسلة المفتوحة للمغايرة و«الإضافة» و«الحرف» و«الفارماكون» و«المهيل» ... قابلة لاستقبال الموضوع، أو إذا شئنا، المفهوم المنظم للعمومية والمسمى تشتيّاً dissemination.

لقد تمّت صياغة هذا المفهوم، كما تعرفان، من خلال حركة قراءة مشاركة لرواية فيليب سولرس: أعداد. إن التشتي لا يعني في نهاية المطاف شيئاً ولا يمكن جمعه ضمن تعريف واضح، وأنا لن أقوم بهذا الترف هنا بل أكتفي بالإحالة على اشتغال النصوص التي كتبت في هذا الإطار. وإذا كنا لا نستطيع أن نلخص التشتي، أي المغايرة الذرية، فهي فحواها المفهومي فذلك لأن قوة وشكل ظهورها تفقّ الأفق الدلالي. إن الاهتمام الملحوظ بالتعدد الدلالي polysemie وبالموضوع المتعدد لنصّ ما يشكل بدون شك تقدماً بالنظر إلى خطية الكتابة والنظر إلى قراءة وحيدة المعنى تلهث وراء وصاية المعنى ووراء المدلول المركزي للنص، هذا إن لم تلهث وراء المرجع الرأشد. لكن التعدد الدلالي من حيث

7 ، هومش الفلسفة، ص. 21. وانظر أيضا النقاش الذي دار بعد ذلك على صفحات مجلة الجمعية الفرنسية للفلسفة. (م. ف)

8 حول الخاصية الصراعية للاختلاف والآخرية التي تدخل ضمنها، انظر من ضمن ما يمكن الرجوع اليه هومش الفلسفة ص. 21 و الكتابة والاختلاف ص. 364. (م. ف)

هو كذلك ينتظمُ ضمناً في أفق انبثاقٍ وحيدٍ للمعنى بل وفي جدلية غائية وذات متزعزعة كلياً. يمكنُ في لحظة معينة ولوعيدة من جمع كلية النص في حقيقة معناه لتحليله إلى تعبيرات وتصويرات، ولتُعدّ فيه، بالتالي، التحرك المفتوح والمتّجّ للسلسلة النصية. فريشار J.P. Richard يتحدث في قراءته الثمينة لما لارمي عن الجدَل، وريكور P. Ricoeur في «بحثه حول فرويد» يقوم بالمثل، والحقيقة أن هيرمينوسية ريكور ونظريته في التعدد الدلالي تقترب كثيراً من النقد الموضوعاتي لريشار كما يعترف هو نفسه بذلك. أما التثنية، فلها ينتج عدداً غير منته من الآثار الدلالية فإنه لا يترك نفسه ينقاد إلى حاضر بسيط الأصل ولا إلى أي حضورٍ آخرٍ.

فـ "التثنية" و "المقامة المزدوجة" و "الميثولوجيا البيضاء" هي إعادة مسرحة عملية لكل المنطلقات الوهمية والكلمات الاستهلاكية incipits والعناوين والشروح والذرائع التخيلية... إنها نصوص تفصل رأس النص عن جسده. والتثنية تعدّ توليدياً وغير قابل للاختزال. الإضافة وشغَب النقص يشرُحان جسد النص ويمعان شكلته النهائية الانغلاقية، أو على الأقل ينعان التصنيف المتختم لمواضيعه ومدلوله وإرادة قوله وقصديته. إننا نلعب هنا، وبيدها، على التشابه المجاني وعلى القرابة الوهمية بين الوحدة الدلالية الصغرى seme والبذرة الدلالية semen فيبينهما لا يوجد أي تواصل في المعنى، ورغم ذلك وفي هذا الانزياح وهذا الاصطدام الخارجي المحض، تُنتج هذه الحادثة نوعاً من السراب الدلالي: مُداورة إرادة القول ليبدأ أثرها وانعكاسها في التحريك.

إنني لم أحاول هذا النظام المحرك للفائض وللنقص داخل حيادية خطاب نقدي عام (وقد وضحت كيف أن شكلته كاملة - بالمعنى الكلاسي - مستحيلة (9) كما أن "المقامة المزدوجة" هي "نقد تفكيكي لمفهوم "النقد") وإنما حاولت إعادة كتابة وتسجيل وإعطاء الانطلاقة مجدداً لخطاطاته التصورية. يتعلّق الأمر في "المقامة المزدوجة" و "التثنية" (وهما نصان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر) ب إعادة وسم re-marque شريّان وثنية وزاوية، تعمل كلّها على إيقاف الكلّية totalisation وذلك في مكان معين هو مكان لشكلٍ محدد؛ من ثم لن يمكن لاية سلسلة من التكافؤات الدلالية أن تغلق

اوتتَجَمَّعَ. وهذا لا يعني انها مفتوحة على ثروة من المعنى لا تنضب أو على تضخم دلالي متعال. عبر تلك الزاوية وعبر إنشاء وانكماش اللا متحدّد تأتي السّمة لتسم معاً الموسم والسّمة ومَجَال السّمة المعاد وَسْمُهُ re-marque. إن الكتابة في هذه اللحظة تعيد وَسْمَ نفسها بنفسها (وهو شيء مغاير للتمثيل الذاتي) وبالتالي لا تدخل في لائحة الموضوعات، إذ هي ليست موضوعة theme ولا يمكن بأي حال أن تَعْدُو كذلك بل يلزم نزعها من تلك اللائحة (كحفرة) وإضافتها إليها (على شكل نُتوء). إن الحفرة هي هي التّوء، لكن النقص والفائض لا يمكنهما أبداً أن يُصبِحا ثابتين داخل امتلاء شكل معين أو معادلة معينة أوداخل الهالُوم الموقوف لتواز ما أوتناظر ما. لا يمكنني هنا أن أستعيد العمل الذي حاولته في هذين النصين بخصوص الثّنية والبياض والمهلّ والهامش والزاوية والمربع والهواء والفائض العددي... الخ، فهذا العمل أنتج، من ضمن ما أنتج، هذه الحصيلة النظرية: إن نقداً يقتصر على المضمون (النقد الموضوعاتي سواء أكان متعلقاً بالأسلوب الفلسفي أم السوسولوجي أم النفساني الذي يُعتبر الموضوع - الظاهرة أو الحفّة، الممتلئة أو الفارغة - المادة الجوهرية للنص وموضوعته أو حقيقته المتجلية)، إن نقداً من هذا النوع لا يمكنه أن يرتقي الى مستوى بعض النصوص أو بالأحرى إلى مستوى بعض الفضاءات النصية بالمقدار الذي لا يستطيعه نقد شكلاي محض لا يهتم إلا بالسّن وباللغة المحضة للدليل وبالترتيب التقني لنص/ موضوع ما، فيُهمل بذلك المؤثرات التكوينية أو الأثر ("التاريخي" إذا شئنا) للنص المقروء وأيضاً للنص الجديد الذي هو بصدد كتابته. إن هذا النقص من كلا الجانبين يتكامل بشكل صارم ولا يمكننا تحديده إلا بتفكيك البلاغة الكلاسيكية ولفلسفتها الضمنية. وهذا ما بدأته في "المقامة المزدوجة" وما حاولت منحه طابعاً نسقياً في "الميثولوجيا البيضاء". إن نقد البنيوية الشكلية قد بدأ في الاشتغال منذ النصوص الأولى لـ "الكتابة والاختلاف".

■ ج. سكاربيتا: - حتى أساهم في توضيح ملامح الوضعية التاريخية لهذا اللقاء يمكننا أيضاً إثارة قضايا الندوة التي انعقدت في كلوني Cluny في أبريل 1970،* ذلك

* يعود المثقفون الفرنسيون مرة أخرى في غشت 1992 وفي كلوني أيضاً إلى تدارس كتابات جاك دريدا العديدة ولكن بصورة مختلفة هذه المرة (المترجم)

لأنك في غيابك عن هذه الندوة التي كانت تتمحور حول "الأدب والإيديولوجيات" ظلمت حاضراً باستمرار من خلال الاستشهاد بكتاباتك أو مساءلتها في تدخلات كانت بعض الأحيان متناقضة.

ج - ل. هودوين : - في قلب هذا السؤال الذي فتحه سكاريتا، ولأن هذه النقطة أثارت في كلوني، أبيعُ لنفسي الإثارة المجدة لمسألة مواجهة تفكيرك بفلسفة هيدجر. نتحدث في النص المذكور سالفاً "الغايرة" عن التأمل الهيدجري الذي لا يمكن مراوغته : في أي شيء يدولك هذا التأمل "غير قابل للمراوغة"؟ وبما أنك لا تصرح بهذا الطابع إلا لعبوره، هل يمكنك توضيح بعض الحواجز التي تجعلك لا تتوقف عند عتبة الفكر الهيدجري؟

□ لكما الحق في الإشارة إلى هذه الندوة، فقد فرغت للتو من قراءة أشغالها. إن الأمر كما يدولي يتعلق بحدث ذي أهمية كبرى نظرية وسياسية معاً. أما بخصوص علاقة الأدب بالإيديولوجيا فقد قدمت الندوة توضيحاً هاماً من خلال العديد من التدخلات التي ستقدم النقاش في الأمر لا محالة.

إن اسئلتكما متعددة وصعبة. بايها أبدأ؟ هل أعود إلى ما وضعني موضع تساؤل؟ هل تظنان أن هذا لا زال ضرورياً؟

■ ج - ل. هودوين - ربما سيمكن هذا من توضيح بعض الغموض وسوء التفاهم، وكما ذكرت سيمكن من تقديم الأمور بعض الشيء.

□ لنبدأ إذن. طبعاً لم أكن أرغب في أن أثير هنا ما يخصني داخل نقاش لم يكن له، لحسن الحظ، أن يكون مقتصر على، نقاش أسفّت جداً - كما تعرفان - على عدم المشاركة فيه شخصياً. وإذا أجيبُ على اسئلتكما، فذلك أساساً لكي أميز جيداً بين التساؤلات والاعتراضات التي وُجّهت إليّ. بعضها، كتدخل كريستين جلوكسمان C. Gluk-sman، كان يرمي بوضوح وبدون عدوانية مرتبكة وعاجزة إلى جعل القراءة والنقاش ممكنين. سأعود لاحقاً للإجابة عليها، وسأجيب عنها كلما كان هناك تبادل يتيح ذلك في هذه الشروط وكلما كنت قادراً على إضافة شيء يخص ذلك. وبخصوص تدخلات أخرى بدت لي متخلفة ورجعية ساذكة فقط بنقاط جد أولية.

وفي معرض هذا الحديث أقول بأنني علمتُ (لاني قرأت ذلك مرتين) بأن فكري

(وأنا هنا بالطبع أستشهد) في "طور التطور". ألا يدعو هذا للفرح؟ (10) صحيح أن هذه الملفوظات مرسلّة بالضرورة من موقع يلزم التحسب له زمنا ومكانا ويلزم معرفة أي فكر أخروي يحكمها. وكنت سأستفيد كل الاستفادة من تلك التشجيعات، اليقظة في بعضها واللفظية في بعضها آخر، لأن "التطور" كقيمة لم يكن بيدولي دائما مشبوها، وذلك عبر كل الخلفيات التي يتضمنها (هل هو قيمة ماركسية؟)، وبالأخص لواني لم أكن حذراً من "الفكر". لا، إن المسألة تتعلق بنقّلات نصية يبدو مسارها وشكلها وضرورتها أبعد ما يكون عن "تطور الفكر" أو غائية خطاب ما. اسمح لي أن أذكر بجملة خاطرت بها منذ مدة، أي أنني كتبتها، لأن العمل الصامت للكلمات المكتوبة بحرف بارز وللمزدوجين guillemets لا يمكن فصله عن تلك المخاطرة كما يحدث غالباً. فبدلاً من التساؤل فقط عن مضمون النص ينبغي أيضاً تحليل الشكل الذي به يكون النص. هذه الجملة هي: "إن الفكر، وبشكل ما، لا يعني شيئاً". (11)

إن "الفكر" pense e (أي كلمة "الفكر" وما ندعوه "فكراً") لا يعني شيئاً: إنه الفراغ المجوهر substantifié لمشالية جد مشتقة، فهو أثر لاختلاف القوى وهو الاستقلال الذاتي الوهمي لخطاب أووعي يلزم تفكيك أقانيمه وتحليل "عليته". . . . هذا من ناحية أولى. أما من ناحية ثانية فإن تلك الجملة تُقرأ كالتالي: إذا كان هناك وجود للفكر (والفكر يوجد، وسيكون من المشبوه، ولأسباب نقدية مماثلة، رفض وتفنيدي إلحاحية كل "فكر") فإن ما نسميه فكراً قادراً مثلاً على تعيين التفكيك للمركزية العقلية لا يعني أي شيء ولا يعود في نهاية المطاف "لإرادة القول". فحيثما يُمارس الفكر فإنه لا يعني شيئاً. أصل الآن إلى التحفظ الذكي لكرستين جلوكسمان: "التاريخ المدرك وبشكل خطي كتاريخ للمعنى"، "تصوّر خفي للتاريخ". . . يبدو أنه يحتقر، حتى لا أقول يحجّ صراع المادية والمثالية. هل من الضروري أن أذكر بأن ما حاولت، ومنذ نصوبي الأولى، أن أُنهّج النقد التفكيكي ضده هو بالتحديد سلطة المعنى كمدلول متعال وكغائية telos، بمعنى آخر

(10) وأنا مغتبط لذلك التقويم خصوصاً وأنه يبدو (وأنا أصدق ذلك) أن هناك من يظن العكس. إنني لا أصدق ذلك لأنه يعود إلى مراقبة التجديدات النظرية كما يُراقب الغيث، بل لأنه يعود بالأحرى إلى تمنّي إقامة فصل سنوي خاص بالجوائز النظرية (وهو شيء يتم عن تصور معين لقيمة الانتاج والاستهلاك في هذا المجال). إنه يعود في الواقع إلى تجاهل تجريبي فج للنتيجة النصية وللضرورة والشكل والزمن الخاص بتطورها.

(11) في علم الكتابة ص. 142. (م. ف.)

ضد التاريخ المحدّد في نهاية المطاف كتاريخ للمعنى، أي التاريخ في صورته المثالية والميتافيزيقية (ساعود لتحليل هذه المصطلحات بعد برهة)، وأني وجهت نقدي أيضاً الى البصمات المركبة التي تركها في الخطاب الهيدجري؟

لا أريد هنا أن أطيل وأعطي أمثلة محددة. فما طرحته الآن يمكن قراءته في كل صفحة من كتاباتي. قد أفهم نعني باني ملحاحٍ ورتيبٌ، لكن ما لا أفهمه هو أن يُلصق بي مفهوم للتاريخ كـ "تاريخ للمعنى". في الحقيقة يكمن جذرُ سوء التفاهم هذا في ما يلي: يعتبر الآخرون أنني سيدٌ ما أحلله ومن ثم أنني صاحب مفهوم للتاريخ كتاريخ مثالي غائي... إلخ. وبما أن هذا المفهوم أكثر دُيوعاً بكثير مما تنصّر، بل هو يتجاوز الفلسفات ذات الياقطة "المثالية". فإني أحذر كثيراً من مفهوم التاريخ هذا؛ وأظن أن سمات الحذر هذه (والتي سنعود لها بالتاكيد) كانت في أصل إثارة سوء فهم ناتج عن قراءة أولية. أما بخصوص الخطية *linearisme* فأنتما تعرفان جيداً أن هذا ليس منزعي إطلاقاً (12). فإنا أربط الخطية بدقة وباستمرار بالمركزية العقلية وبالنزعة الدلالية وبالمثالية. إنني لم أومن قط بالاستقلال المطلق (13) لتاريخ ما كتاريخ الفلسفة بالمعنى الهيجلي الشائع؛ ليس هذا فحسب، لكنني حاولت وبشكل منتظم أن أقوم بعملية مسرحية *mise en scene* للفلسفة على خشبة لا تتحكم هي فيها، خشبة حكّم عليها المؤرخون الكلاسيون للفلسفة في الجامعة وغيرها بالتصلّب. لهذا لست متعوداً على الشكوك التي طرحتها كـ "جلوكسمان".

"[إن دريدا] يحتقر، حتى لا أقول يمحي الصراع بين المادية والمثالية؟" لا، أبداً.

(12) انظر ضمن المراجع المتوفرة: في علم الكتابة، الجزء الأول بكامله، (مثلاً: "إن النموذج اللغز للخط *ligne* هو بالضبط ما لم تكن الفلسفة تستطيع رؤيته فيما كانت عينها مفتوحة على داخل تاريخها الخاص. هذا الليل يتبدد شيئاً ما في اللحظة التي تخفّف فيها الخطية - باعتبارها ليست ضياعاً أو غياباً بل كبتاً للفكر الرمزي في أبعاده المتعددة - من اضطهادها لأنها تبدأ في تعقيم الاقتصاد التقني والعلمي الذي كانت قد اعتمدته لمدة طويلة. فمنذ زمن كانت إمكانيات الخطية متعاضدة بالفعل مع الاقتصاد والتقنية والإيديولوجيا، هذا التعاضد يظهر في المراكمة والرسمة وترسيخ وتشكيل الإيديولوجيا من طرف طبقة أولئك الذين يكتبون على الأقل يتوفرون على كتبة. ص 9 و128)، وكذا في البحث الذي يحمل عنوان "الحضور والحرف" وخصوصاً في النهاية: "كتابة تكون متجاوزة لكل ما حصره تاريخ الميتافيزيقا في خطه ودائرته وفي زمنه وفضاءه" (م. ف)

(13) لكنني في الحقيقة أهتم بتاريخ الفلسفة في "استقلاله النسبي"، وهو شيء يبدو لي ضرورياً لأن النقد النظري بدوره خطاب (ذلك هو شكله الخصوصي)، وهو إذا أراد أن يتمفصل مع ممارسة أكثر عمومية يلزمه أن يأخذ بعين الاعتبار التشكيلة النظرية الأكثر قوة واتساعاً وديمومة ونسقية في "ثقافتنا". بهذا الشرط يمكننا تفادي الانجرال التجريبي والاكتشافات الخاطئة الخ، ويمكننا إعطاء طابع نسقي للتفكيك...

بالعكس، ذلك يهمني كثيراً، وهو من زمان ذواهمية يلزم الانتباه إليها. بل إنني أولي اهتماماً كبيراً لبعض اشكال المادية "الميكانيكية" التي تحتوي على أشياء كثيرة ينبغي الاستفادة منها. من المحتمل ألا يكون لدي شيء أصيل أوجدت يخص هذا الموضوع، وفي هذه الحالة فأنا قليل الثروة، وهذا بالتأكيد ما لا يقبله الآخرون. أنتما تريان أن ما بدأ لي ضرورياً ومُستعجلاً في الوضعية التاريخية الراهنة هو التحديد العام لشروط ظهور الفلسفة والميتافيزيقا وحدود ما تحمله هذه الأخيرة وما تنهض عليه. وهوما كُفِّتَتْ تحت عنوان المركزية العقلية كمفهوم اقترحته في في علم الكتابة بتزامن مع مشروع التفكيك. هنا توجد وحدة نسقية جبراً يلزم بدءاً لتحديد ما من حيث هي كذلك، هذا إذا أردنا ألا نعتبر المثانات بمثابة مصاييح كلما نحونا نحو تحديد انبثاقات أوقطائع أو انقطاعات وتحولات ما... (14). إن المركزية العقلية هي أساساً نزعة مثالية، بل هي رَحِمُ المثالية. وهذه الأخيرة هي التمثيل الأكثر مباشرة لها وقوتها الأكثر ديمومة في هيمنتها. أما تفكيك وحدة المركزية العقلية فهو التزامن - وبعداً - تفكيك للمثالية وللروحانية في كل صورها. طبعاً تشكل المركزية العقلية الآن مفهوماً أكثر شمولية من مفهوم المثالية من حيث أنه يُمثل، بالنسبة لهذا الأخير، التعقيد الفائض. إنه مفهوم أكثر شمولية أيضاً من المركزية الصوتية. فهو يشكل نسقاً من المحمولات يمكن لبعضها أن تلتقي داخل فلسفات تعتبر نفسها غير مثالية إذا لم نقل معادية للمثالية. إن استخدام مفهوم المركزية العقلية يبدو أذن صعباً وفي بعض الأحيان مُقلِقاً ومُخيفاً.

هل تريدان الآن أن نخُص بكلمة الفئة الأخرى من الاعتراضات التي قُدِّمَتْ في مناظرة كلوني؟ لن أعود مرة أخرى لصيغة "رفض التاريخ" التي أريد إصاقتها بي لأنني كنت واضحاً بخصوصها ولأنني أجد أنها تدعوللسخرية والضحك. كما أنني لا أستطيع أن أتابع كلمة كلمة كل المقترحات المطروحة التي جرنني الخلط الذي يعتورها إلى التيه (اعطيكما مثالا على ذلك: "إن الكتابة الخطية grammatique الديريديّة "تشكل" في خطوطها العامة بناءً على الميتافيزيقا الهيدجرية التي تحاول "تفكيكها" وذلك عبر تعويض "حضور اللوغوس" بأسبقية الأثر trace؛ إنها تشكل كاونطولوجيا انطلاقاً من الأثر كـ "عمق"، كـ

"أساس" أو "أصل" (" كيف يمكن أن تتشكل بناء على ما نُفكك؟ هل يمكن الحديث بهذه البساطة عن الميتافيزيقا الهيدجيرية؟ لكن بالأخص (لأن هذين الاحتمالين ليسا خلطاً في ذاتهما بالرغم من إمكانية تحويلهما كذلك) أَلَمْ أَرَدَدْ دَوَّماً، بل أَلَمْ أدلُّ على أن الأثر ليس عمقا ولا أساساً ولا أصلاً وأنه لا يمكن بأي حال أن يكون في أصل اونطولوجيا واضحة أو مقنعة؟ صحيح أن هذا الخلط، المتمثل في إخضاع نصوصي لانتقادات ينسى أصحابها تماماً أنها أخذت أو استعيرت من هذه النصوص نفسها، قد تمَّ تفاديه من قبل قراء أقل تنوراً إن لم أقل أقل وعياً ومعرفة.

من جهة أخرى، أنا لم أقل أبداً بأن "الخطوة السوسيرية" كانت في أصلها أوفي مجملها عقل مركزية أو صوت مركزية. إن عملي القرآني لا يأخذ هذا الشكل. فحين أحاول أن أفك رموز نص ما لا أتساءل دائماً إذا ما كنت سأجيب بنعم أم بلا وبشكل عشوائي كما هو الحال عندنا في فرنسا وفي فترات محددة من التاريخ وبصفة عامة أيام الأحاد. إن نص سوسير، شأنه في ذلك شأن كل النصوص الأخرى، ليس مُنْسَجَماً. فقد حللت فيه طبقة "عقل مركزية"؛ و "صوت مركزية" حللت فيه أثراً (وإن لم أبرزه بالرغم من فعّاليته). لكنني قمتُ بذلك أيضاً كي أوضح للتو أن تلك الطبقة كانت تُشكل تناقضاً في المشروع العلمي سوسير كما يقدم نفسه للقراء وكما تلقّيته أنا كذلك. وليس هنا مجال استعادة هذا التحليل. (15)

إنني لم أطبق أبداً، لا من قريب ولا من بعيد، بين الكتابة والأسطورة كما يحاول البعض الإيهام بذلك من منطلقات لا بد من تحليلها. إنني أعني بمفهوم الكتابة الصورة التي حاولتُ تحديدها له. بالمقابل اهتممتُ ببعض الأحيان بالحركة التي بموجبها تطردُ الفلسفةُ الكتابةَ من حقلها أو من حقل العقلانية العلمية، وذلك بهدف الحفاظ عليها في خارج يأخذ بعض الأحيان شكل الأسطورة. هذه هي العملية التي قمتُ بمساءلتها بالخصوص في "صيدلية أفلاطون"، وهو ما كان يتطلب طرُقاً جديدة ولم يكن له أن يرتبط لا بالميثولوجيا ولا بالمفهوم الفلسفي للعلم (16). إن الأمر يهم بالخصوص التفكيك الفعلي للتعارض بين

(15) انظر بالأساس في علم الكتابة، ص. 65، وما يتبعها و "السيمولوجيا وعلم الكتابة" ضمن هذا الكتاب.

(16) يُسمح لي بأن أذكر هنا بأن النص الأول الذي نشرتُ يتعلق بالخصوص بمشكلة الكتابة كشرط للعلمية (مقدمة أصل الهندسة لهوسرل).

الفلسفة والأسطورة، بين اللوغوس والميثوس وهذا لن يتأتى له التحقق الفعلي والنصي (وإنا الح على ذلك) إلا عن طريق كتابة مختلفة بكل ما يحمله ذلك من مجازفات. وسوء الفهم الذي تحدثنا عنه مجازفة من ضمنها، وأخشى أن تتعمق وتستفحل هذه المجازفات مستقبلاً.

أما عن تحقير الكتابة، فبديهي أن المسألة لا تتعلق بانتشال الكتابة مما اعتبره أنا خطأ من قيمتها، وإلا لكان الأمر تناقضاً مع السياق النصي الذي جاء فيه. هذا الاحتقار هو بالضبط تمثيل للكتابة ولوضعيتها داخل التراتبية الفلسفية (فوق/تحت).

وهنا أيضاً يعزى إليّ ما أندد به، كما لو أن نقّادي كانوا متلهّفين أكثر لانتقادي ومناقشتي بدّل أن يَصْعُروا أنفسهم في موضوعي لتحليل ما حلّلتُه. إن قيمة التحقير هذه تخص ما كانت الفلسفة (وكل ما يتشكل معها في نسق) تعتزم القيام به انطلاقاً من لحظة حياة حاضرة لذاتها في لُوغوسها، لحظة امتلاء أو نطولوجي أو امتلاء بالاصل: وهذا بالضبط ما جاءت العملية التفكيكية لتقوم ضده. أما مصطلح "السقطة" chute، باعتباره مكملًا لفهوم "الأصل"، فقد كان دائماً هدفاً لي في علم الكتابة "وفي غير هذا الكتاب. من ثم لم يحدث أبداً أن أخذت لحسابي الخاص موضوعاً كتابياً فوق لغوية ^{supralapsaire} قد تكون ناتجة عن خطيئة أصلية في حقل منقطع وخائر للتاريخ. الأمر على العكس تماماً من ذلك. وبما أن هذا يبدو بديهيًا جداً بالنسبة لمن يريد البدء بالقراءة فإنني لا أريد أن ألح على هذه النقطة بالذات لأمر مباشرة للعلاقة مع هيدجر.

إني، وكما ذكرتما في سؤالكما، أصرُّ على أن هيدجر ذواهمية قصوى بالنسبة لي، وبأنه يشكل تقدماً أكيداً لا سابقة عليه، تقدماً نحن ما نزال بعيدين عن استغلال كل موارده النقدية.

إضافة إلى أن ما أكتبه في مجالات مختلفة، ولأسباب عديدة، لا يشبه بأي حال نصّاً ذا منزع هيدجري (وهو ما لا أستطيع تحليله هنا باستطالة)، فإنني حققت بشكل واضح وفي كل نصوصي انزياحاً عن الاشكالية الهيدجرية، وهوشي يمكن التحقق منه. إنه انزياح له علاقة خاصة بمفاهيم من قبيل "الأصل" و"السقطة" التي تحدثنا عنها. وقد قمتُ من ضمن ما قمتُ به، بتحليل ذلك بخصوص الزمن باعتباره "أفقاً متعالياً لمسألة الكينونة

"في الكينونة والزمن" لهيدجر، أي في نقطة استراتيجية حاسمة (17). إن هذا الانزياح يتدخل من جهة أخرى في قيمة الخاص propre (الخاصية، خصص، التملك، وكل مشتقات: الخاص، eigennis, eireig-eigenlichkeit) الذي اعتبره الخيط الأمتن والأصعب في الفكر الهيدجري. أريد في هذا المضمار أن أوضح بسرعة بأن قيمة الخاصية والأصالة الأصلية هذه قد خضعت من جانبي لنقد واضح. ويمكن القول أنني في نقدي لهيدجر بدأت من هذه النقطة بالذات: لكما الحق إذن أن تَنْدَهشاً من هذا التهافت وهذه الرتابة لكن لا يمكن بأي حال تقويلي عكس ما أقول، وهو ما قام به رُودُنسكُوفي كُلُونِي: فعلم الكتابة كعلم شامل للأثر الجامع يُقدِّم نفسه من ثم كفكر تفسيري لاسطورة الأصول. إنه بحث لا في "الأصول التاريخية" وإنما في الأصل original وفي الحقيقي والأصل الاشتقاقي etymon الأصل الحاضر دوماً الذي يعمل على إبطاله. "هنا ياخذ الخطأ في الفهم ابعاداً مذهشة. فحيثما تُنفَرَضُ قيم الخاصية propriete والمعنى الحقيقي sens propre والقرب من الذات والأصل الاشتقاقي... في علاقتها بالجسد والوعي واللغة والكتابة... أقوم بتحليل الرغبة والفرضيات الميتافيزيقية التي تعتمل داخلها. ويمكن الوقوف على ذلك في "الكلمة المهموسة" وفي أي مقام آخر.

ف "الميثولوجيا البيضاء" تمنهجُ نقدَ نزعة الأصل الاشتقاقي etymologisme، في الفلسفة والبلاغة (18). طبعاً وحتى نعود لهيدجر، فالنقطة الأكثر حسماً والأكثر صعوبة هي مسألة المعنى، أي معنى الحاضر والحضور. وقد اقترحت ولوبشكل تخطيطي في "الكائنية

(17) بعد أن استشهدتُ بمقطع لهيدجر حول "سقط Fallen وانحط Verfallen كتبْتُ ما يلي: "وإذن ليست مقابلة الأصل originaire بالمشتق derive ميتافيزيقية خالصة؟ ليس البحث عن الأصل الأول archie عموماً، ومهما كان الحذر الذي نحيط به هذا المفهوم، العملية الجوهرية للميتافيزيقا؟ وإذا افترضنا أنه بالإمكان تخليصه من أي منبت آخر بالرغم من وجود قرائن قوية ضده، ألا يحمل الانحطاط verfallen على الأقل طابعاً افلاطونياً خالصاً؟ لم يتم تحديد الانتقال من زمنية معينة إلى أخرى كسقط chute؟ ولم يتم نعت الزمنية بالأصالة - أو بالخاصية - وبغير الأصالة واللاتلاؤم بمجرد ما يتم توقيف وتعليق كل اهتمام أخلاقي؟ يمكننا مضاعفة هذه الأسئلة حول مفهوم الغائية وحول نقطة انطلاق التحليلية الوجودية حول الكائن étant والتي تبرر بالقرب المألوف من الذات وبتطابق المسائل مع ذاته الخ. وإذا كنا قد اخترنا مسألة التعارض الذي يبين مفهوم الزمنية، فلأن التحليلية الوجودية بمجملها تُقضي إليه " (هوامش الفلسفة)، ص ص. 73 - 74 (م. ف)

(18) انظر هوامش الفلسفة، ص ص. 251 - 257 وما يليها. وانظر أيضاً التوضيح الموجود في الهامش 7 من "المقامة المزوجة". (م. ف)

والحرف "ousia et gramme" (19) إشكالية أوبالاصح لوحة لقراءة نصوص هيدجر من هذه الزاوية. إنه عمل جبار، والأمور ليست هنا دائمة السهولة. وبما أنني لا أستطيع في حيز هذا الحوار سوى أن أقترح انطباعات سريعة فإني أقول باني أحسُّ بعضَ الأحيان بان الإشكالية الهيدجرية هي المدافع الأكثر "عمقا" و"ضراوة" عما أحاول أن أجعله موضع تساؤل تحت عنوان فكر الحضور.

ولحسن الحظ أننا نأبنا عن الخلط المتهمك في خلق التناظرات والذي:

(1) يحصر انشغاله في الإسقاط الأعمى للتفكيك الجراماتولوجي على هيدجرية مبسطة، الظاهر أنه لم يفقه فيها شيئا.

(2) الإيهام بأنه لا يوجد في فكر هيدجر شيء غير الإيديولوجيا الألمانية لما بين الحربين: وهو اختزال مؤشر لنمط معين من القراءة.

(3) الإيحاء بأن هيدجر متحفظ تجاه التحليل النفسي فقط لأن هذا العلم "يهودي" (وهو ما يوحي ومن خلال عدوى عامة بأن أي أمرئ تمهل وقرا بانتباه هيدجر سيشتك لا محالة في موقفه). إن ملحاحية هذا القول ستجعلني على وعي بموقف معاد للسامية لا يزال بدائيا!

فهناك، حتى نختم، انحراف طائش وإسقاط نرجسي ينحوا أكثر فأكثر نحو العدوانية. وأنا انصت لهذا النوع من الخطاب منذ مدة وأعيره اهتماماً وإن غامضا بعض الأحيان. لكنني إذا كنت ألتزم الصمت أحيانا فلا يلزم استغلال ذلك بتجاوز.

لنترك إن شئنا هؤلاء الدكاترة المتخصصين في الجينيات العلمية أو القرباب الإيديولوجية، فالطلبة سيأخذون عنهم أن هيدجر يعتبر الجدلية ذات جوهر يهودي وأن افلاطون وريث للرواقين والابيقوريين ("علم الحروف") (العناصر البسيطة) أوتقنية النحو grammatike techné التي أرسى أسسها الرواقيون والابيقوريون والتي أعاد طرحها افلاطون ونظر لها أرسطو... كما جاء في تدخل أحدهم). وكما تريان فإن ما يُسيء

* يترجم دريدا كلمة ousia (الحضور) أيضا بالكائنية، نظرا لأنها تشير الى الزمن في ارتباطه الجوهري ككائن بالحضور. إن الزمن لا يوجد إلا في صيغته الحاضرة ككائن حاضر. وفي هذه الترجمة تتبدى الشحنة الدلالية للكلمة في استعمالها الفلسفي (أرسطو، هيجل وهيدجر). انظر البحث المذكور، ضمن "هوامش الفلسفة". ص. 44. (المترجم)

"لإشكالية سردية" كهذه هوأنها قادرة على تفكير ما يجعل من أطروحتها شيئاً غير قابل للسرد . فهل كان بورخيس J.L. Borges سيوقع حكاية لها هذه الفِراة؟ للأسف لا ...

■ ج . سكاربيتا - يمكننا العودة الآن إلى ما قلته بصدد التاريخ . إنني أفكر في نص من في علم الكتابة تقول فيه : " إن كلمة "تاريخ" كانت بالتأكيد تربط دائماً بالخطاطة الخطية لاشتغال الحضور " . فهل تتصور إمكانية مفهوم للتاريخ بنقلت من " الخطاطة الخطية " لاشتغال الحضور هذه؟ هل هناك حسب رأيك إمكانية لما يسميه سولرس مثلاً " التاريخ العظيم " monumentale أي تاريخاً يتم تصويره لا كـ " خطاطة خطية " وإنما كسلسلة عملية مترتبة ، اختلافية وتناقضية ، تاريخاً لا يكون واحدياً أو تاريخانياً؟

□ طبعاً . ما يجب أن نحذر منه ، وأنا أكرر ذلك ، هوالمفهوم الميتافيزيقي للتاريخ . إنه مفهوم التاريخ كتاريخ للمعنى الذي تحدثنا عنه من برهة : تاريخ المعنى الذي يحدث ، يتطور ويكتمل بشكل خطي وعبر خط مستقيم أودائري . لهذا إذن ، فإن " انغلاق الميتافيزيقا " لا يمكنه أن يأخذ شكل خط ، أي الشكل الذي تمنحه إياه الفلسفة والذي يطابق هويته . فانغلاق الميتافيزيقا ليس بالخصوص دائرة تحيط بحقل متجانس لذاته وفي طوبته ، حقلاً يكون خارجه بالمثل متجانساً . فللحد شكلُ شروخٍ مختلفة دائماً ، وشكلُ انشطاراتٍ تحمل كل النصوص الفلسفية أثرها وجرحها .

إن الطابع الميتافيزيقي لمفهوم التاريخ لا يرتبط فقط بالخطية وإنما ينسق كامل من المؤديات (غائبة ، أخروية ، تراكم متصاعد ومستبطن للمعنى ، نوع معين من التقليدية ، مفهوم معين للاستمرار والحقيقة . . . الخ) .

إنه ليس محمولاً عرضياً يمكننا التخلص منه بغسيل محلي أي بدون تحويل عام للنظام وبدون أعمال النسق نفسه(20) . قد أكون تحدثت في عجلة عن " مفهوم "ميتافيزيقي معين . لكنني لا أعتقد أبداً في وجود مفاهيم ميتافيزيقية في ذاتها . من ناحية أخرى لا وجود

(20) ليس التدخل الذي استقيت منه هذا الاستشهاد الأخير ، وبالرغم من كثرة الأخطاء والغموض (التي يلزم دراستها) هو الأكثر نقصاً من بين التدخلين اللذين أحيل إليهما هنا . إنني مضطر للاعتراف بذلك للنزاهة وحتى أتمكن من جانبي من تفادي الخلط .

المفهوم يكون بذاته وفي ذاته ميتافيزيقياً (21)، أي خارج كل العمل النصي الذي يدخل في إطاره. وهذا يفسر كيف أني رغم طرحي لتحفظات كثيرة إزاء المفهوم "الميتافيزيقي" للتاريخ استخدم باستمرار كلمة تاريخ كي أعيد كتابة حمولتها ومدأها (22) وأنتج مفهوماً آخر للتاريخ أو سلسلة مفاهيمية مغايرة لـ "التاريخ". وأنا أعني بالفعل تاريخاً عظيماً وتراثياً وتناقضياً، تاريخاً يتطلب أيضاً منطقاً جديداً للتكرار والأثر بما أننا لا نرى إمكانية تاريخ بدوئهم. لكن ينبغي الاعتراف بأن مفهوم التاريخ عرضة لاستقطاب الميتافيزيقي نظراً لقوة المحمولات التي ذكرت أنفاً بنسقتها. مثلاً يجب التمييز بين التاريخ العام والتاريخ كمفهوم عام. إن النقد الأساسي والضروري الذي اقترحه التوسير للمفهوم "الهيغلي" للتاريخ ولفكرة الكلية التعبيرية... الخ يهدف، إلى توضيح أنه لا وجود لتاريخ عام وحيد ولا لتاريخ عام، وأن ما يوجد هي تواريخ مختلفة في نمطها وإيقاعها ولحظ أثارها، تواريخ تكون متباعدة واختلافية... وأنا كنت دائماً متفقاً مع هذا الطرح ومع ما يسميه سولرس تاريخاً عظيماً. (23)

(21) هوامش الفلسفة، ص. 11.

(22) أقدم هنا مثلاً: "لو لم يكن لفظ تاريخ يتضمن موضوعة القمع النهائي للاختلاف لاستطعنا القول بأن الاختلافات وحدها قادرة على أن تكون من البدء وبشكل كلي "تاريخية". إن ما يكتب مغايرة سيكون إذن حركة اللعبة التي "تنتج" هذه الاختلافات وآثاراً لاختلاف عبر شيء لا يمكن ببساطة أن يكون نشاطاً. وهذا لا يعني أن المغايرة من حيث هي متجة للاختلافات سابقة عليها وموجودة في حاضر بسيط لا متغير في ذاته وغير مختلف indif-ferent. إن المغايرة هي "الأصل" غير الممتلئ، وغير البسيط، الأصل المتين للاختلافات، ولو أن اسم الأصل هذا لا يرادفها. (...). أخذاً بعين الاعتبار على الأقل خطاظة أو مضمون الضرورة التي صاغها سوسير، ستعين بالمغايرة الحركة التي بموجبها يشكل اللسان تاريخياً ومعه أي سن وأي نسق إحالات عموماً، كنسج من الاختلافات. ينبغي أن نفهم "بتشكل" و "ينتج" و "يخلق" و "حركة" و "تاريخياً" الخ خارج لغة الميتافيزيقي التي تنتمي إليها بكل مؤدياتها. وسيكون من الضروري توضيح لم تظل مفاهيم من قبيل الانتاج والتشكل والتاريخ، من هذا المنظور، طريقة لما يتم وضعه هنا موضع تساؤل؛ إلا أن هذا سيؤدي بي اليوم بعيداً جداً (نحو نظرية تمثيل "الدائرة" التي تبدو مغلقة داخلها). وأنا لا أستخدمها هنا ومعها مفاهيم أخرى كثيرة، إلا بنوع من التساهل الاستراتيجي ويهدف بدء تفكيك نسقتها في النقطة الراهنة الأكثر حسماً "هوامش الفلسفة"، ص ص. 12 - 13. وانظر أيضاً التشنيت ص ص. 235 - 236. وحول لا تساوق هذا التشكيك انظر بالخصوص ص 18 و 19.

(23) خلال جوابي المرتجل نسيت أن أسأل سكاربيتا كان يعني أيضاً التاريخانية historicisme. طبعاً يبدو لي أن نقد التاريخانية بكل أشكالها ضروري. لقد كان هوسرل، حسب معرفتي، أول من سمى الهيغلية تاريخانية انطلاقاً من ضرورة نظرية وعملية (بالأخص رياضية). وابتداء من "الفلسفة كعلم صارم" إلى "أصل الهندسة" كان نقد هوسرل يستهدف هيغل باستمرار إما مباشرة أو من خلال ديثلي Diltthey. وما تعلمته يبدو لي قيمياً في خطاطه الاستدلالية بالرغم من أنها تستند في نهاية المطاف إلى غائية تاريخية للحقيقة يلزم متابعة التساؤل حولها. إن هذا التساؤل سيكون

اطرح الآن سؤالاً من غط آخر: انطلاقاً من أية نواة دلالية دُتِّبَ سنسمي "تاريخاً" هذه الأنماط من التاريخ المتباينة وغير القابلة للاختزال...؟ كيف نحدد هذا الحد الأدنى الذي يلزم أن يتوفر فيها بشكل مشترك إن لم نعترف أن الاسم "تاريخ" الذي نطلقه عليها يأتي بشكل عُرْفِي محض أو نتيجة خَلَطٍ محض؟ هنا بالضبط تدخل مسألة نَسَقِ المحمولات التي تحدثنا عنها سابقاً.

حين سال سقراط عن معنى العلم كانت الإجابة: هناك عِلْمٌ وعِلْمٌ وآخر ثالث... ثم عِلْمٌ آخر. إن سقراط يلح كي يتلقى جواباً فقيراً يحسم بشكل اختباري وجبري ويحييه بذلك عن طبيعة علمية العِلْمِ وعن السبب في تسمية هذه العلوم المختلفة علوماً. لكن حين تساءل عن طبيعة تاريخية التاريخ التي تمكننا من إضفاء اسم التاريخ على تواريخ غير قابلة للاختزال إلى تاريخ عام، فإن ذلك لا يعني العودة إلى سؤال من النمط السقراطي. بالعكس، إن ذلك يعني توضيح أن خطر الاستقطاب الميتافيزيقي شيء لا مفر منه، وبأن هذا الخطر يبرز بسرعة كلما طُرحت مسألة تاريخية التاريخ (وكيف يمكن تفادي طرحها ونحن نستخدم مفهوماً تعددياً وهَجَانِيّاً *heterogeneiste* للتاريخ؟) نكون مدفوعين للجواب بتعريف للماهية والجوهر وبإعادة صياغة نَسَقِ المحمولات الجوهرية، ونكون مدفوعين من ثم إلى إعادة ترتيب العمق الدلالي للتقليد الفلسفي؛ هذا التقليد الذي يعود دائماً في النهاية إلى بناء التاريخية *historicité* على خلفية أونطولوجية تحديداً. من ثم يلزم التساؤل

كالتالي: هل يمكننا نقد التاريخانية باسم شيء آخر غير الحقيقة والعلم (أي قيمة الكونية الزمنية الحاضرة باستمرار ولا نهائية القيمة الخ)، وما سيكون عليه حال العلم إذا نحن وضعنا القيمة الميتافيزيقية للحقيقة موضع تساؤل؟ كيف تتم إعادة تشكيل آثار العلم والحقيقة؟ لقد قمنا بهذا التذكير المجلل لإثارة الانتباه إلى أننا خلال لقائنا هذا لم نفوه أبداً باسم نيتشه. هل كان ذلك صدفة؟ فينتشه كما تعرفان بشكل بالنسبة لي مرجعاً مهماً للغاية بخصوص ما نتحدث عنه في هذه اللحظة الدقيقة، وبخصوص الباقي أيضاً. أخيراً، من البديهي أننا لا نرمي هنا وبأي حال، إلى القيام بخطاب ضد الحقيقة أو ضد العلم (وهي مسألة عبثية ومستحيلة مثل كل اتهام حاد في هذا المجال). وحين نقوم منهجياً بتحليل قيمة المعرفة باعتبارها تماثلاً أو تلاؤماً *homöis ou adaequatio* وباعتبارها يقيناً للكوجيطو (ديكارت، هوسرل) أو باعتبارها يقيناً مضاداً للحقيقة في أفق المعرفة المطلقة (فينومينولوجية الروح لهيغل)، أو أخيراً باعتبارها حقيقة *aletheia* أي انكشافاً أو حضوراً (تكرار هيدجيريأ)، فليس ذلك من أجل العودة بشكل ساذج إلى اختيارية ذات متزع نسي أو شكّي. (انظر بهذا الصدد خصوصاً في علم الكتابة، ص. 232، وهوامش الفلسفة، ص. 7). ساكرر إذن: نجح الحقيقة *il faut la vérité*، تاركاً لفعل الوجوب ذلك كل قدراته التشتيتية. ولأولئك الذين يخادعون أنفسهم والآخرين أقول: إن الحقيقة هي القانون. وكما قال فرويد عن القضيب الحاضر / الغائب (والمسألة تتعلق بنفس الشيء)، يلزم أخذ الحقيقة باعتبارها "النموذج العادي للبذرة *fauche*". فكيف تتجاوز الحاجة إليها؟

ليس فقط عن "جوهر" التاريخ وتاريخية التاريخ وإنما عن تاريخ "الجوهر" عامة . وإذا نحن أردنا إقامة قطيعة بين " مفهوم جديد للتاريخ " ومسألة جوهر التاريخ (كمفهوم يتحكم فيه) وكذا مسألة تاريخ الجوهر وتاريخ المفهوم وأخيراً مسألة تاريخ معنى الوجود، فإن العمل الذي ينتظرنا يبدو هائلاً .

إننا لا نستطيعُ لا بخصوص مفهوم التاريخ ولا بخصوص أي مفهوم آخر، القيام بعملية تحويل بسيطة وآنية، كما أننا لا نستطيعُ مَحْوَ كلمة ما من المَعْجَم . المطلوب هو بلورة استراتيجية عمل نصيُّ يستعيرُ في كل مرة كلمة عتيقةً من الفلسفة كي يَفْصَلُهَا عَنْهَا لِلتَّوْ . وهذا ما أشرت له من قبل حين تحدثت عن الحركة المزدوجة أو التضديد المزدوج . من جهة يلزم قلبُ المفهوم التقليدي للتاريخ، وفي نفس الوقت القيام بانزياح معين يُلْزِمُ السهرُ على ألا يصبحَ قابلاً - بسبب هذا القلب وهذه المفهمة - للاستقطاب الميتافيزيقي مجدداً . علينا إنتاجُ مفهمة جديدة لكن مع الاحتفاظ بوعينا بأن المفهمة لوحدها وبذاتها قابلة لأن تستعيد ما كنا نودُّ "انتقاده" . لذا فإن هذا العمل لا يمكنه أن يكون عملاً "نظرياً" أو "مفهوماً" أو "خطابياً" محضاً، أعني عملاً متعلقاً بخطاب تحكمه في كليته مقولاتُ الجَوْهَرِ والمعنى والحقيقة وإرادة القول والوعي أو المثالية . . . الخ . إن ما ادعوه نصاً يتضمن أيضاً ويتجاوز "عملياً" حدودَ خطاب من ذلك القبيل . يوجد نصٌ كهذا حيثما يكون ذاك الخطاب ونظامه (جوهر، معنى، حقيقة، قصيدة، مثالية ...) متجاوزين، أي حيثما أصبحَ مَحْفُلُهَا سِمَةً تَتِمِّي لسلسلة يكمن وَهْمُهَا البنوي في إرادة التحكم فيها [أي السمة] . أكيد أن هذا النص العام لا ينحصر، كما يمكن أن نفهم أو نكون قد فهمنا ذلك، في الكتابة على الصفحة . إن كتابتهُ لا حدودَ خارجيةَ لها بقدر ما لا تملك إعادة الوسم البيئية re-marque حدوداً خارجية . أما الكتابة على الصفحة ثم "الادب" فهي أنماط محددة من إعادة الوسم هذه، ولذا يلزمنا مساءلتها في خصوصياتها أي في خصوصية "تاريخها" وفي تفصلها مع الحقول "التاريخية" الأخرى للنص العام وذلك بوسائل جديدة .

هذا بسرعة هو ما يفسر لماذا استعمل غالباً كلمة "تاريخ" بين مزدوجتين والخيطة التي أوْهَمَت الآخرين " برفض للتاريخ " من جانبي .

■ ج - ل . هودين : - هذه التحليلات تضعنا دفعة واحدة على محاور مختلفة من شساعة أبحاثك . إنها أيضا تمنحنا القدرة على التعرف الدقيق على المجال التاريخي والنظري حيث يلزمنا طرح أسئلتنا ، معتبرين طبعاً أن عملك يتطلب بذاته مجاله التساؤلي الخاص .

لنحدد باختصار هذا المجال كمجال للجدلية المادية ، للمنطق الجدلي المادي الذي يتم فصل اقتصاده العام انطلاقاً من السلسلة المفاهيمية " مادة (كمركّب لا يمكن اختزاله في العلاقة : ذات / معنى) / تناقض / صراع التناقضات ، وحدة ولا انفصالية وتبادلية الأضداد في سيورورة تحولها ... " . هذه السلسلة المفاهيمية ، التي ساهم التوسير بعمق في إمكانية إعادة قراءتها ، يلزم فهمها داخل اقتصاد تظهر وضعيته المزدوجة بشكل أساسي في تلك الوحدة المزدوجة التي دعاها سولرس مؤخراً مادية تاريخية / مادية جدلية .

لأعط هنا الصيغة الأولى لسؤالي : ما العلاقة التي يدولك أنها تقوم بين هذا الاقتصاد الجدلي المادي والاقتصاد الذي أنشأت انطلاقاً من إشكالية الكتابة ؟

لنحاول تحديد حقل أولي للسؤال لا يزال هلامياً بما أنه ستتاح لنا العودة إليه باستمرار خلال هذا الحوار (هناك أسئلة كثيرة تتعين من الآن داخل هذا السؤال ، والمسار الذي ستتبع سيكون مساراً فنجماً *toile* ، يركز على التقاطعات وعلى الاختراقات المتتالية للأسئلة والأجوبة) : يبدو واضحاً ، وكل ما قلته يؤكد ذلك ، أن بين هذين النّمتين من الاقتصاد يمكن تحديد عدد وافر من نقاط التقاطع أو على الأقل من نقاط التلاقي ، خصوصاً إذا نحن اعتمدنا تفكيك إشكالية الدليل في انتمائها لمركزية عرقية أساسية وفلسفة الوعي أو الذات الأصلية . إذا كان الأمر يبدو كذلك فيلزمنا اليوم طرح مشكلة وضعية نقاط التلاقي الاستراتيجية هذه .

مثلاً ، داخل مسار تفكيك الخطاب العرق مركزي هذا ، يبدو أن اللقاء مع النص المادي حتمي باعتباره يشكل في فضاء حضارتنا النص التاريخي المكبوت والمقموع منذ زمن من طرف الخطاب العرق مركزي (المثالي والميتافيزيقي والديني) كخطاب للايديولوجية السائدة بمختلف أشكالها التاريخية . هل ستكون متفقاً معنا لإثبات ضرورة ذلك اللقاء ؟ وهل يمكنك أن تقول لنا لماذا حضر هذا اللقاء في كتاباتك إما بطريقة هامشية ، عبارة عن سؤال جهوي (وأشير هنا بالخصوص لهوامش عديدة من " المقامة المزدوجة " تشهد على

الضرورة التي وجدتَ نفسك داخلها آنذاك، ضرورة التعقيد الاستراتيجي بل السياسي لمُؤدَّيات خطابك)، وإما بطريقة مختصرة جداً، كما في هذا المقطع من مقالة "المغايرة" حيث نُحِيلُ - في معرض حديثك عن التشكيك في "الوعي و يقينه الأكيد في ذاته" - إلى نيته وفرويد وتترك الإحالة إلى ماركس ومعه النص الجدلي معلقة، وهو تعليق قابل بالتأكيد للقراءة؟ صحيح أن هذا التشكيك في يقين الوعي بذاته لا يتم عند ماركس ولينين "انطلاقاً من موضوع الاختلاف وصحيح أيضاً أن اقتصاداً عاماً من نوع آخر بدأ يشتغل هنا (أوهوبداً منذ زمن) وذلك حسب السلسلة المفاهيمية التي طرحت من قبل والتي ينبغي أن نُضيف إليها هنا المفهوم الماركسي للإيديولوجيا".

□ طبعاً لا أستطيع بكلمة واحدة الإجابة عن كل هذه الأسئلة. من أيها ابدأ؟ لنبدأ بما سميت "لقاء" والذي يبدو لي منذ زمن طويل ضرورة حتمية. ولا تتصور أنني لم أكن واعياً كل الوعي بذلك. فانا ما زلتُ متشبهاً بالاعتقاد بأن ليس هناك من منفعة نظرية أو سياسية في التسرع في إقامة الاتصالات أو التمهصلات كلما كانت الشروط غير واضحة بشكل قاطع. ففي النهاية لن يُنتج هذا التسرع إلا آثاراً دوغمائية وانتهازية وخطأً. إن أخذ النص الماركسي، وفي صعوبته بجدية ولا تجانسه أيضاً وكذا في الأهمية الحاسمة لفعله التاريخي، هو ما يفرض هذا الحذر.

لكن من أين أبدا إذن؟ إذا أردنا وضع خطاطة، لن تكون إلا كذلك، فإن ما حاولته يمكن أن يندرج بدوره تحت عنوان "نقد المثالية". من الواضح أن المادية الجدلية لا تتضمن ما يمكن أن يُشيرُ حفيظتي، على الأقل باعتبارها نقداً للمثالية، كما لم يسبق لي أن عبرت عن هذا التحفظ.

أما "الفجوات" التي أشرت إليها فإنها، ولتسمح لي بذلك، محسوبة بشكل واع، وذلك بهدف وسمِّ أماكن بالبلورة النظرية التي تظل في نظري على كل حال في عداد الآتي. إنها فجوات لا اعتراضات على الجدلية المادية ولها وضعية جد خصوصية وشخصية ولا أزعُمُ أنَّ لها فعالية ما. حين أقول "في نظري" أعني ما يلي: ما بين العمل الذي أحاوله، وهو عمل محدودٌ لكنه يمتلك حققه وهيكله وليس ممكناً إلا في وضعية سياسية وتاريخية ونظرية... إلخ محدودة جداً، ما بين هذا العمل وكل النصوص والمفاهيمية الماركسية لا يمكن لذلك اللقاء أن يكون مُعطى مباشراً.

والاعتقاد في إمكانية ذلك يعني محورَ خصوصية الحقول وتحولاتها الفعلية. إذن في الحالتين معا يتعلق الأمر، وسأعبر عن ذلك بسرعة، بحقول تؤكد إمكانية تحولها العملي. وحين أقول "في عداد الآتي" أقصد بالخصوص علاقة ماركس بهيجل وأفكر في كل هذه القضايا التي تحدثنا عنها من برهة (جدلية، اختلاف، تناقض... الخ). ورغم العمل الضخم الذي أنجز في هذا المضمار فإن البلورة الحاسمة ما زالت لم تحقق بعد لأسباب تاريخية ضرورية لا يمكننا تحليلها إلا من خلال عملية البلورة المستقبلية.

لقد حاولتُ الاعتمادُ في اقتراحاتي الأولية على بعض المكتسبات الحديثة أو على أشياء لم تكتمل بعد في نظام الفلسفة والسيمولوجيا واللسانيات والتحليل النفسي... وإذن فلا يمكن اعتبار نص ماركس وانجلز ولينين بلورة مكتملة علينا "تطبيقها" ببساطة على الطرف الحالي. وبقولي هذا لا أقترح شيئاً مناقضاً "لماركسية"، أنا متأكد من ذلك. فلا ينبغي لنا قراءة هذه النصوص تبعاً لمنهج هيرمينوسي وتفسير يعمد إلى البحث فيها عن مدلول مكتمل قابع تحت المساحة النصية. إن القراءة تحويلية بالضرورة، وأظن أن ذلك قد تأكد مع بعض الاقتراحات الالتيوسيرية. إلا أن هذا التحويل لا يتم بشكل عشوائي، إنه يتطلب قواعد خاصة (بروتوكولات) للقراءة. لم أقولُ الأشياء بكل عنف: لم أجد بعد لدى الماركسيين ما يشفي غليلي.

فكما أنني لم أتعامل مع نص سوسير ونص فرويد أو أي نص آخر باعتباره مُجلِّداً volume متجانساً (هذا التجانس كموضوعة لا هوتية مثلى هو ما يلزم تقويضه)، كذلك لم أجد نفسي أمام نص ماركس وانجلز أولينين باعتباره نقداً متجانساً. يبدو ذلك، مثلاً، في علاقته بهميجل. كما أن الطريقة التي فكروا وصاغوا بها البنية الاختلافية أو التناقضية لعلاقتهم بهيجل لم تبد لي - عن حق أو عن خطأ - مُقنعة. أنا مطالب إذن بتحليل ما اعتبره لا تجانساً، وبالتالي مفهومة ضرورته وقانون قراءته، هذا مع أخذ التقدم الحاسم، الذي تم بشكل متزامن وفيما بعد مع التوسير، بعين الاعتبار. كل هذا يطرح قضايا كثيرة، ولا أستطيع أن أقول لكُما شيئاً لا يمكن قراءته في الفجوات أو الهوامش التي أشرتُ إليها وعلى الأقل بالنسبة لمن يرغب في متابعة نتائج ذلك. إن هذه الأمور تحيل بالخصوص إلى الاقتصاد العام الذي حاولتُ رسم ملامحه انطلاقاً من جورج باطاي. من البديهي إذن وفي حدود ما تعنيه كلمة مادة - كما قلتماً - من آخرية جذرية (بالعلاقة مع المتعارضة

الفلسفية) أن ما اكتب يمكن اعتباره "ماديا". وكَمَا تَرَيَان فالأشياء ليست بهذه السهولة. لمفهوم المادة لم يحدد دائما كخارج مُطْلَقٍ أولا تجانس جذري فقط داخل النص المادي (هل يوجد شيء من هذا القبيل، أي النص المادي؟) ولا داخل كل نص مادي. بل إنني لست متاكدا من إمكانية وجود "مفهوم" معين للخارج المطلق. وإذا كنت لم أستعمل إلا قليلا مفهوم "المادة" فليس ذلك ناتجا عن حذر ذي طابع مثالي أوروخاني، كما تعرفان. ذلك أنه داخل مرحلة أو منطق القلب شهدنا كيف شُحِنَ هذا المفهوم كثيراً بقيم "عقل مركزية" مرتبطة بقيم الشيء والواقع والحضور بصفة عامة (الحضور المحسوس مثلا، حضور له امتلاء ماهوي، حضور المضمون والمرجع... الخ). إن الواقعية أو الحسية أو "التجريبية" تحويرات للمركزية العقلية (ولقد ركزت كثيراً على كون "الكتابة" أو "النص" لا يمكن اختزالهما هما أيضا إلى المحسوس أو المرئي، وإلى المكتوب الخطي، أو إلى الحرفي *grammatique* باختصار لا بيدولي الدال: "مادة" إشكالياً إلا في اللحظة التي تَتَفَادَى فيها إعادة توظيفه لنجعل منه مبدأ جديداً، أي في اللحظة التي يتم فيها إعادة بنائه كـ "مدلول مُتَعَالٍ" من خلال سلفية نظرية معينة. إن المدلول المتعالي ليس فقط مرجعاً للمثالية في معناها الضيق، إذ يمكنه أن يساهم في إعادة تكريس المادية الميتافيزيقية ليصبح من ثم مرجعاً أخيراً بالنسبة للمنطق الكلاسي المرتبط بقيمة المرجع هذه. كما يمكن أن يصبح مفهوم "المادة" واقعا موضوعيا "سابقا إطلاقا لكل اشتغال للسمة، أو مضمونا دلالياً أو شكلاً للحضور يؤمّن من الخارج حركة النص العام. وأنا لست متاكداً من أن تحليل لينين مثلاً يفلت دائماً من هذه العملية. وإذا كان ذلك التحليل يتنازل بعض الأحيان للمدلول المتعالي انطلاقاً من استراتيجية ما فيلزم بدءاً، وعبر قراءة تحويلية، إعادة بلورة قواعد هذه الاستراتيجية. آنذاك ستزول كل التحفظات: لذا سوف لن أقول عن مفهوم "المادة" بأنه مفهوم ميتافيزيقي في ذاته أو أنه مفهوم غير ميتافيزيقي في ذاته، فذلك متعلق بالعمل الذي يكون في أساسه. وأنتما تعرفان بانني، وبخصوص الخارج غير المثالي للكتابة والنص والآخر...، قد ألححتُ بدون كَلَلٍ على ضرورة عدم فصله عن العمل، وهي قيمة يلزم تفكيرها بدورها خارج انتمائها الهيغلي. إن ما يعلن عن نفسه هنا، كما حاولت الإشارة لذلك في "المقامة المزدوجة" (علم مزدوج، معنى مزدوج، حلبة مزدوجة)، هو أيضاً عملية السمة المزدوجة أو السمة المعادة البينة *re-marque*. فمفهوم "المادة"، ومعه كل

المفاهيم الأخرى، يلزم أن يُوسَمَ مرتين: مرةً في النص المُفَكِّك، (24) وهي مرحلة القلب، وأخرى في النص المُفَكِّك، خارج التعارضات التي تحتويه (مادة / روح، مادة / مثلية، مادة / صورة ...)، ومن خلال لعبة الانزياح الفاصل بين هاتين السَمَتَيْنِ يمكننا القيامُ مرة واحدة بتفكيك قلب وتفكيك نقل إيجابي أي بتفكيك انتهاك. إن الإلحاح على المادة كخارج مطلقٍ للتعارض، وبالشكل الذي أدمجت به داخل الاقتصاد العام (جورج باطاي) (25) وداخل الكتابة المزدوجة التي تحدثنا عنها، إن هذا الإلحاح المادي (الذي يدخل في تماسٍ مع ما تمثله "المادية" كقوة مقاومة في تاريخ الفلسفة) يدولي ضرورياً. إنها ضرورة تتفاوت حسب المجالات والأوضاع الاستراتيجية وحسب نقاط التقدم التطبيقية والنظرية. في مجال مُحدّد من هذه الوضعية المعاصرة يدولي أن تلك الضرورة ستأخذ الوظيفة التالية: العمل على ألا ينتهي التعميمُ الضروري لمفهوم النص وتوسعه إلا محدود (الذي يفترض بدوره اختراق الثنائية الميتافيزيقية) إلى تحديد جديد للطّوية في ذاتها أو إلى تحديد مثلية *ide alité* جديدة للنص، وذلك تحت تأثير مصالح دقيقة للغاية وبفعل قوى ردّ فعل تدفع بالعمل إلى الغور في الخلط. كما يلزم تبادلي أن يؤوّل النقدُ الضروري للعلاقة الساذجة مع المدلول أو المرجع أو الشيء إلى تأكيد حالة مُعلّقة تُفضي إلى الإلغاء البسيط والسريع للمعنى أو المرجع.، اظن اني قد اخذت احتياطاتي في هذا المجال من خلال الاقتراحات التي تقدمت بها. لكن صحيح أن ذلك، والأدلة هنا كثيرة، ليس كافياً. فما نحن بحاجة إليه هو أن نحدد بشكل مغاير وحسب نسق اختلافي، آثار المثلية والدلالة والمعنى والمرجع (يلزم أيضاً تخصيص تحليل نسقي لمفهوم الأثر / النتيجة هذا لأن استعماله شائع اليوم، وهو شيء له دلالته، وكذا تحليل المفهوم الجديد الذي يقوم بوسمه لحد الآن بشكل غير واضح، إن شِوع هذا المفهوم يتضاعف نظراً لهذا اللا تحديد البسيط ذاته. فكل مفهوم في طور التشكل

(24) وحتى اختصر ما يسمه داخل الحقل المُفَكِّك سأستشهد بنيتشه: "لنتخل عن مصطلح 'الجوهر' ومن بعدُ عن المصطلحات التي تتخذها مشتقاته مثل 'الروح' و 'المادة' وكانات أخرى افتراضية. لنتخل عن مصطلح 'الخلود' وعن 'لا تغير المادة' الخ. بهذا الشكل ستتحلى إذن عن الخاصية المادية *maternalité*. أحيل أيضاً إلى المقاطع المنشورة بعد وفاة نيتشه.

(25) أبيع لنفسي أن أذكر هنا بأن النصوص التي تمت الإشارة إليها (بالخصوص "القائمة المزدوجة" و "التشتيت" و "المثولوجيا البيضاء" وأيضاً "صيدلية أفلاطون" ومقامات أخرى) تموضع علنيا في العلاقة مع جورج باطاي وتقرح علنياً أيضاً قراءة له.

ينتج في البداية نوعاً من الفوران القابل للتعين داخل اللغة. يستعير هذا المفهوم الجديد للأثر ملامحة من الثنائية: علة / نتيجة، ومن المتعارضة: جوهر / مظهر (أثر، انعكاس) دون أن يُخْتَزَلَ فيها. إن هذا الجانب من عدم القابلية للاختزال هو ما يتوجب تحليله.

نحن مطالبون طبعاً خلال إعادة النظر في مشكلة المعنى والمرجع / بمضاعفة الحذر. ف "جدلية" المماثل *me* والآخر، الخارج والداخل، المتجانس واللامتجانس، هي كما تعرفان من القضايا الأكثر خداعاً (26). فالخارج عرضة باستمرار لأن يصبح "موضوعاً" داخل تقاطب الذات / الموضوع، أوليُصَبِّح "الواقع" الآمن لخارج النص، وهناك بعض الاحيان داخل يكون مُزعجاً بقدر ما يكون الخارج مهبطاً، وهوشي لا يلزم نهماهله (27) في حملة النقد الموجهة ضد الطوية والذاتية. فنحن هنا داخل منطق بالغ التعقيد، والكلمة المرتجلة لا يمكنها بأي حال أن تعوض العمل النصي.

■ ج - ل. هودين: - يمكننا الآن طرق مسألة أخرى كنا أعددناها لما سيأتي إلا أن أجوابك يفرض طرحها من الآن. في هذا التنظيم الاستراتيجي الشامل لعملك، بالشكل الذي ذكرت بمنطقه الأساسي الآن وخصوصاً فيما يتعلق بالوسم المزدوج (قلب / انتهاك الحقل الفلسفي الخاضع لعملية التفكيك) توصلت بالفعل الى أن تأخذ بعين الاعتبار نوعاً من العمل النصي يمكن أن يطرح مُشكل وضعية خطابك نفسه بالعلاقة معه. أريد أن أقول إنه من الأكيد أنك بشتغالك على نصوص مالآرمي وأرطو وبأطاي وسولرس تطرح شيئاً جديداً وغريباً في الوقت نفسه إذا ما قورن بما عودتنا عليه الفلسفة الكلاسيكية: فلم يعد

(26) انظر في هذا الصدد وبخصوص ما يتعلق بمفارقات اللا تناظر والآخرية مثلاً: "العنف والميتافيزيقا". ضمن الكتابة والاختلاف.

(27) كما لا ينبغي أيضاً تشكيل هجاء "المادة" بشكل متعال، سواء كان هذا المتعالي هو القانون أو الموضوع الخارجي الكبير (وهو اللحظة المكونة والمواسية للحظة الأيضية) أو كان ذا عنصر أصلي أمومي *l'Element* متعال (مهبطاً كان أم شرساً)، (انظر بهذا الصدد ما يقوله فرويد عن العلاقة المعروفة أم / مادة في مقطع يؤكد فيه - بخصوص عبور تلك العلاقة - مالا يختزل الى تنوع الدوال اللسانية واللغوية. مدخل الى التحليل النفسي، منشورات بايو، ص 145. انظر أيضاً نهاية "فرويد ومسرح الكتابة"). إن هذا لا يعني أن المادة لا تقيم علاقة ضرورية مع هذه اللحظات، إلا أنها علاقة تسلسل منطقي مكتوب، لعبة استبدال للأدلة المختلفة التي تربط المادة أيضاً بالكتابة ومن ثم بالموت والقفسب والبراز والطفل والبذرة المنوية... إلخ، أو على الأقل بما لا يتصاع للنفي الهييجيلي. إن هذه العلاقة لا تتحول ولا نفسي إذا إلى تحديد لجوهر الوجود والوجود وإلى مركز أونتولوجي جديد وإلى نموذج جديد من الكلمات السحرية، تلك التي انتقدها ماركس نهائياً في الإيديولوجيا الألمانية، المنشورات الاجتماعية، ص 490 مثلاً.

الأمر يتعلق بمراتبية عالم جمال ولا بتعليق يبنني على نوع من "الجمال الشعري" كما تعودنا على قراءته في فرنسا. انطلاقاً من مجمل ما حددته، خصوصاً ما يتعلق منه بضرورة اللقاء مع النص المادي، هل يمكنك أن تتحدد من الآن علاقة عملك مع العمل النصي المسمى "أديبا" والذي يلعب دوراً هاماً في تفكيرك؟

ج. سكاربيستا: - وحبني أزيد من حدة السؤال المطروح: في نص كـ "التشيتيت" تتحدد بدقة ممارسة سولرس باعتبارها في نفس الآن إنتاجاً ومبالغة في الإنتاج. إن ما تعينه هنا يدولي مهماً جداً: فنص سولرس والقطيعة التي يقوم بها في حقل دلالي "أديبي" معين يتّمان عبر هذا السجل المزدوج للإنتاج الذي لا نستطيع إشار جانب منه على الآخر. أريد أن أعرف، هل بيدولك أن خطابك مدين لمنطق كهذا؟

□ أنا مدعوها للإجابة بسرعة: نعم. على كل حال هذا ما أحاول القيام به. لقد حاولت وصّف وتفسير كيف أن الكتابة تتضمن بنويًا (تتضمن وتحذف) * في داخلها عملية انمحائها وإغائها وذلك من خلال وسْم ما عداها بهذا الانمحاء، عبر منطق من الصعب القيام بإطلالة مختصرة عليه هنا. سأقول إنني حاولت القيام بذلك أكثر فأكثر انطلاقاً من قاعدة للتركيب والتعميم أو المراكمة المتزايدة، وهذا ما أثار، خصوصاً ما نشرت مؤخراً، مقاومة أو عدم تقبّل من طرف القراء الأكثر تنوراً.

نعم، هذا بخصوص "السجل المزدوج". إلا أن هذا العمل لم يتم أولاً في الحقل المسمى "أديبا" وإنما وجد أساسه في النصوص المتمية بشكل ما إلى "تاريخ الفلسفة". وما دفعني في هذا الطريق هو اقتناعي أننا إذا لم نبلور استراتيجية نظرية ونسقية عامة للتفكيك الفلسفي فإن انبثاق النصوص سيكون معرضاً للسقوط - خلال مساره - في المغالاة أو البحث الاختباري وفي بعض الأحيان، وبشكل مواز، في الكلاسيكية الميتافيزيقية. والحال أن هذا بالضبط ما نريد تفاديه. لكنني لا أنفي أن تلك الأوّلاً تُعرّض النص لخطر معاكس أو ببساطة لخطر نسقي. ورغم كل علامات الحذر التي لم أفتأ أكثر منها منذ بداية نقاشنا فإني أعتقد أنه من الضروري المجازفة أحياناً.

لا أستطيع "تكلم" الكتابة أو- كما قلتما - "تركيب" النصوص المثارة هنا، فهذا

آخر شيء يمكن التحكُّم فيه في حوار كهذا. فقط أسجل بان الآثار المتعلقة بالاطروحات النظرية، التي وجدتُ من الضروري إدماجها فيها، غالباً ما أخفت هذا النسيج. والعكس صحيح أيضاً. وهذا شيء ذاتي بالنسبة لي.

نعم، لا مجال للشك في أن بعض النصوص المعتبرة "أدبية" تقوم بانتهاكات وفتحات ذات تقدم كبير للغاية: آرطو، باطاي، ملارمي، سولرس. لماذا؟ على الأقل للسبب الذي يجعلنا نشك في التسمية "الأدبية" وفي كل ما يخضع الأدب للأدب الجميلة والفنون وللشعر والبلاغة والفلسفة. إن هذه النصوص تقوم في حركتها بالذات بالإعلان والتفكيك العملي للتمثيل، وللتصور الذي كان لدينا عن الأدب. هذا لا ينفي طبعاً أن بعض الممارسات "الأدبية" قد استطاعت قبل هذه النصوص الأخيرة فقط، أي انطلاقاً من التمظهر العام الذي نخلطه فيها، يمكننا قراءة تاريخ الشروخ السابقة بدون أية غائية سلفية.

لقد بدأ لي أن بعض النصوص، ومن بينها تلك التي أشرت إليها، قد وسمت ونظمت بنية للمفهومية الفلسفية التي هدفت إلى السيطرة عليها واحتوائها بشكل مباشر أو عبر مقولات مشتقة من التراث الفلسفي، أي المقولات البلاغية والجمالية أو النقدية الكلاسية. كمثال على ذلك فإن قيمة المعنى أو المضمون وقيمة الشكل أو الدال وقيمة المجاز والحقيقة والتمثيل - على الأقل في شكلها الكلاسي - لن يمكنها التوصل إلى الكشف عن بعض الآثار المحددة داخل هذه النصوص. وهذا ما حاولت الإشارة إليه بخصوص أعداد (ونصوص تخيلية أخرى سابقة) لسولرس ومحاكاة جسدية Mimique (وشبكة أخرى كاملة من الكتابات) للمارمي، وذلك عبر إعادة طرح القضية الأعم المتعلقة "بالحقيقة" في علاقتها بقضية أخرى ليست أقل أهمية هي الأدبية. في اعتقادي أن مسألة الأدبية والتي ارتكزت في صياغتها الواضحة أساساً على الشكلايين الروس (لم تقتصر تلك الصياغة عليهم وحدهم بل نهضت أيضاً على جملة ضرورات تاريخية كانت التحولات التي عاشتها الممارسة الأدبية نفسها حاسمة فيها)، قلت إن تلك الصياغة للأدبية شكلت في النصف الثاني من هذا القرن تقدماً حاسماً. فانبثاق قضية الأدبية مكّن من تفادي عدد هائل من الاختزالات والتجاهلات التي لن تكف عن الظهور مجدداً (أعني النزعة الموضوعاتية والنزعة السوسيولوجية والتاريخية والنفسية في أشكالها الأكثر تقنعاً). بالرغم من ذلك هناك رد فعل أو اختزال مُوازٍ يمكن رسمُ ملامحهما من الآن: إنه يتعلق بعزل خصوصية

شكلية للأدبي يكون لها جوهرٌ وحقيقةٌ خاصان لا يمكننا مفصلتُهُما أبداً مع حقول نظرية أو عملية أخرى. من ثم جاء العمل الذي بدأته في "المقامة المزدوجة" (28) أي تسجيل حَذَرِي تَجَاهَ موضوعه "الادبية" في نفس الوقت الذي عَارَضَتْ بلحظتها العنيدة ما سميته نزعة المحاكاة (mime tologisme) (لا المحاكاة وإنما تَأْوِيلٌ مُعَيَّنٌ لَهَا). كل شيء يمر من خلال هذا الانشطار، والكتابة بمجملها محكومة به كممارسة. إن شكل الانشطار (شكل x) يهْمُنِي كثيراً لا كرمز للمجهول وإنما لأن هناك - كما يؤكد ذلك بحثي "التشتيت" - صورة مَذْرَأة بقرنين (وهي سلسلة: المُلتقي، المَفترق الرباعي quadrifurcun الجدول، الغربال، المفتاح...*) غير متساويين، إذ أن أحد قرنيها يمتد أكثر من الآخر: صورة للحركة المزدوجة وللتقاطع الذي أَثَرْنَا منذُ برهة.

هكذا أقول كي أجيب عن سؤالك بأن نصوبي لا تنتمي للسَّجَل "الفلسفي" ولا للسَّجَل "الأدبي" إنها تتواصل بذلك - وهذا على الأقل ما اتفاه - مع نصوص أخرى لم تعد تُنعت بانها "فلسفية" أو "أدبية" لأنها قامت بقطيعة معينة، ولا تحفظ بنعوتها تلك إلا تبعاً للتسمية العُرفية palonymie. ولنطرح إذن سؤالاً حول التسمية: ما الضرورة الاستراتيجية (ولماذا نسمي لحد الآن استراتيجية كل عملية ترفض الانصياع في نهاية المطاف لأي أفق غائي أخروي؟ إلى أي مدى يكون هذا الرفض ممكناً وكيف يتفاوض بخصوص آثاره؟ ولم يضطر إلى التفاوض بشأنها؟ لماذا تحيل الاستراتيجية إلى لعبة المناورة وليس إلى التنظيم التراتبي للوسائل والغايات؟... الخ. اظن أن هذه الأسئلة غير قابلة للاختزال السريع)، وإذن ما الضرورة الاستراتيجية "التي تتحكم في الاحتفاظ أحياناً باسم قديم لإطلاق مفهوم جديد؟ مع كل ما يفرضه هذا التمييز الكلاسي بين الاسم والمفهوم من تحفظات يمكننا البدء في وصف هذه العملية: نظراً لأن الاسم لا يسمى البساطة اللحظية لمفهوم ما وإنما يُسمى نسقاً من المحمولات التي تُحدّد مفهوماً وبنية مفاهيمية متمركزة حول هذا المفهوم أو ذاك، فإننا نقوم أولاً، باستئصال خاصية محمولية صغيرة تكون مُحْتَفَظاً بها ومُحدّدة داخل بنية مفاهيمية معطاة (تكون محدودة نظراً لحواجز وعلاقات قوى قابلة

28 (انظر التشتيت، ص ص. 203 - 209 - 253.

* يتم اللعب هنا على التشابهات الدلالية والجناسات اللفظية للمفردات الآتية: cle, cale, grille, quadrifurcun, carrefour (لترجم)

للتحليل) تسمى X، والتوسع المقنن لهذا المحصول المستأصل. أما الاسم X فيتم الاحتفاظ به بوصفه رافعا للتدخل ولكي تستمر الهيمنة على التنظيم الداخلي الذي نهدف إلى تحويله فعليا. وإذن يتعلق الأمر باستئصال وزرع وتوسع، وهي عمليات أسميها حسب السيرورات التي وصفتها: الكتابة. ثانياً: نقوم بالتحريير والزرع greffe.

■ ج - ل. هودوين: - لنستعد إذن، وحسب الحركة النجمية لمسارنا، مشكلة طُرحت في سؤال سابق يُعيد طرح نفسه بخصوص القضية المتعلقة "بالإسم القديم". فهيمتُ مما طرحته اللحظة أنه من الصائب أن النص المادي في تاريخ كِبته لم يكن في مامن من الأخطار التي ترتبط بأي شكل من أشكال القلب البسيط للخطاب المثالي السائد. هكذا أخذ الخطاب المادي شكلاً ميتافيزيقياً (أي آلياً وغير جدلي) حين ظل سجين الأزواج التضادية المنتمية للخطاب السائد (المثالي والميتافيزيقي). إنها أزواج قام الخطاب المادي داخلها بعمليات قلب تمت حسب التاكثيك المعروف أي حسب حركة لا تستطيع هذه المادة (الآلية) السيطرة عليها كلية.

لكن هذا القلب، إذا ما أُخذ في مسار استراتيجية معينة، ليس عدماً، فهو لا يستهلك نفسه في علاقة تأملية محضة، ونتيجته - ككل نتيجة - تتعلقُ بعملية تناقض "لا تُساوي صفراً". إن هذا "القلب" الذي ليس عدماً يدخل هونفسه في تاريخ هو التاريخ المختلف للمادية وللجدلية حيث يفرض ضرورة التمثيل بين السياسي والإيديولوجي وتنفرس معه فعالية الأول بالمقارنة مع الثاني.

من جهة ثانية فإن النص المادي (كما تمت بلورته خاصة من طرف ماركس ولينين بعد هيجل) لا يمكنه أن يُختزل إلى الوجه المعاكس للموقف المثالي داخل نفس الثنائية الميتافيزيقية مادية / مثالية: إنه على العكس من ذلك، وكما يسجل ذلك سولرس في "لينين والمادية الفلسفية" (مجلة تيل كيل Tel quel، ع. 43)، في وضعية لا متوازية إزاء الخطاب الفلسفي الذي يتجاوز فيه ثنائيته الخطية.

إذن، وحتى نتطرق لأحد أوجه النقاش الدائر، ولكي نظل في المجال المتعلق بقضية "الأسماء القديمة"، ألا نعتقد أن ما يجري على التناقض ينسحب على مفهوم اللاّ وهي حين تحدده كسمة "لاخرية" مُعتقة "نهائياً من أية سيرورة للاستعراض ندعوه بها

للحضور شخصياً؟ ثم ألا تعتقد أن فرويد إذا كان أعطى لهذه "الأخرية" "اسماً ميتافيزيقياً هو اللا وعي" فإن هذا المفهوم كما تم تحديده وكما يشتغل داخل اقتصاد النظرية والممارسة الفرويديتين ينفلت في معناه الدقيق من كل اختزال ميتافيزيقي؟ ألا يسري نفس الأمر إذن على التناقض، وهو كذلك "اسم ميتافيزيقي" إذا نحن فكرنا في انتمائه للجدل الهيجلي من حيث إمكان اعتباره جدلاً مُحدداً بالحركة الغائية للنفي سوى أنه مفهوم يُعَيَّن في معناه الضيق وداخل اقتصاد الجدل المادي قضايا لا علاقة لها تخصيصاً بالخطاب الميتافيزيقي؟ وربما نكون بحاجة إلى مناقشة هذه التسمية ("الاسم الميتافيزيقي") نفسها في علاقتها بمفهوم التناقض عموماً وضمنه انتمائه الهيجلي، نظراً:

أ) لأن فكراً ميتافيزيقياً (ذا نزعة عقل مركزية فعلاً) بكامله قدّم ولا يزال يقدم نفسه علينا ككُتبت / قمع للتناقض، وهو قمع / كبت حطمت، بإشارة تاريخية ذات أهمية بالغة وفتحته (تجاه مكبوته / مقموعه) تساوقاً مع حركة تشكل فيها المادية الجدلية تاريخياً، نقطة القلب والتحويل.

ب) لأن الموضوع الأساسي للنص المادي هي التناقض وتفكير التناقض الذي ظل مكبوتاً / مقموعاً طيلة قرون عديدة. أما المشاكل المتعلقة ببلورة مفهوم التناقض التي أشرنا إليها آنفاً، فإنها لا يمكن أن تُنسبنا أنه يتجاوز في عمقه الجدلي الخطاب الميتافيزيقي (فهو ليس سجينه كلية)، لأن ما كان يُدرك كروح "أو ك" وعي "يتم فهمه من طرف المادية (بدءاً من لوقريطس Lucrèce في حديثه عن "الطبيعة الجسمانية للروح والعقل") باعتبارها أحد أشكال المادة. أما المادة فيتم تحديدها بدورها كمفهوم فلسفي انطلاقاً أساساً من طابعها الوحيد في أن تكون واقعاً موضوعياً، وفي "أن توجد خارج وعينا" كما يقول لينين أو، حتى نستشهد بملفوظ معاصر يشتغل داخل حقل التحليل المادي الجدلي للممارسات الدالة، باعتبارها "ما ليس المعنى" أي "ما يوجد بدونه، خارجه ورغماً عنه" (كريستيفا)، وهذا المزيج الجذري (مادة / معنى) يتحدد مباشرة كـ "حقل للتناقض".

لكن ينبغي لنا بدون شك أن نطالبك بتوضيح وضعية "المغايرة" والمنطق الذي تفرضه، في علاقتها بالتناقض الذي نذكر هنا، حتى نتاح لنا إمكانية القفز نحو أسئلة جديدة، بأن كريستيفا تحدد كـ "عماد للدلالة" *signifiante*.

□ لا يمكنني هنا إعطاؤك جواباً يختلف مبدئياً عن الجواب الذي وظفته بخصوص مفهوم المادة. اظن أنه لا يوجد ما يمكننا من القول بأن التناقض والجدل يفلتان في النص* الماركسي من سيطرة الميتافيزيقا. من ناحية أخرى أنت تقول عن المادة مستشهداً بـلينين: "الطابع" الوحيد "في أن تكون واقعاً موضوعياً وأن توجد خارج وعينا"، والحال أن كل عنصر من هذه الجملة - ولنعترف بذلك - يطرح مشاكل عويصة ويلزم لذلك أن نسائل فيها كل الترسيبات الآتية من تاريخ الميتافيزيقا. إذا كانت المادية تحكم، في نهاية المطاف وبهذا الشكل، النص الفلسفي للينين فليست هي التي ستقنعني بقطيعته مع الميتافيزيقا. حالياً، وبالقدر الذي تشغل به موضوعه التناقض فعلياً داخل عمل نصي خارج الجدل التاملي، واعتباراً لتبلور إشكالية جديدة للمعنى (هل نستطيع القول إنها تبلورت عند ماركس ولينين؟ وهل ساكون معادياً للماركسية إذا شككت في ذلك؟ ألا توجد ضرورات تاريخية كافية لتفسير ذلك وتبريره؟)، اعتباراً لذلك كله، يمكن الموافقة على رأيك. لكن اصارحك مرة أخرى بأنني لا أعتقد في إمكانية الحديث، ولومن منظور ماركسي، عن نص ماركسي متجانس قادر على التحرير الآتي لمفهوم التناقض من أفقه التاملي والغائي والآخرى. وإذا نحن أردنا العثور على أصل ما تسميه "مكبوت الفلسفة" فيكون علينا الرجوع ليس فقط إلى ماركس أو على الأقل إلى النص الذي أسس انفتاحه وإنما - وماركس يعرف ذلك - إلى أبعد بكثير منه، أي إلى ما ندعوه عادة "الماديين الإغريق"، مع كل ما سيعترضنا من مشاكل عويصة تتعلق بالقراءة والترجمة وتجعل من الصعب التوصل إلى نتائج مرضية في لغتنا نحن. إننا لا نزال بشكل ما في البدايات. في "المقامة المزدوجة" قصرت إحالتي للمادية، وبشكل موح على "rhythnos" الديموقريطسي (الكتابة والإيقاع معاً)، وهو مصطلح هام ينتمي إلى نسق أراد أفلاطون بدون شك إفحامه عبر منحه طابعاً أونطولوجياً (29). وما دام هذا العمل الذي تطلب مسار قراءة ضخم ودقيق غير تام (وهو شيء يتطلب وقتاً طويلاً) فإن ضبابية أساسية ستظل تعم هذا الحقل. لا يعني هذا طبعاً أن السيرة العملية بمجملها

* الإلحاح على أداة التعريف طريقة يتمكن بها قريباً من التشكيك في أحادية التناقض والجدل ومن ثم في انسجامها ووحدتهما. (الترجم)

(29) إضافة إلى قراءة تحاليل بنيفيست Benveniste التي أشرت إليها في "المقامة المزدوجة"، ساهمت في توجيهي في هذا الميدان أعمال ودروس ويسمان H. Wismann ووج. بولاك J. Bollack. وقد حاولت في حلقة دراسية في المدرسة العليا أن أسائل من هذا المنظور نص تيمي Time (محاورة لأفلاطون) ومصطلح chora البالغ الإشكال.

متعلقةً باكتشاف فيلولوجي، بل أن الاختيار الاستراتيجي للدوال (وهو ما تناقشه) لا يمكنه الاستقلال المطلق عن هذه القراءات التاريخية.

■ ج - ل. هودبين: - أ أمتفق معك كل الاتفاق حول هذه النقطة ولم أفكر في ادعاء وجود نص ماركسي منسجم كلية بخصوص مفهوم التناقض. فقط كنت أتساءل إذا كان بإمكاننا اعتبار أن كل توقف مادي يتضمن في عمقه (ولهذا ذكرت بيت لوقريطس الشعري) وبشكل بنيوي ضرورة موضوعتي "المادة" و"التناقض". وهذا ما قادني من زاوية جديدة إلى إعادة طرح مسألة العلاقة بين المنطق الناتج عن السجل المزدوج "مادة"/ "تناقض" والمنطق المتضمن في موضوعية المغايرة: إنها علاقة أصبحت ضرورية لكون عملك يمكن فهمه - كما أكدت على ذلك - كنقد للمثالية ولأن نمطي المنطق هذين لا يتلاءمان تماماً. مثلاً في عملك الذي تطوره انطلاقاً من اقتصاد يقصي مفهوم التناقض، هل تتصور حالياً إمكانية إقامة علاقة مع الاقتصاد المتضمن في موضوعية "المادة" / "التناقض"؟

لأ إن مفهوم التناقض لا يحتل الصدارة في كتاباتي للأسباب التي عيّنتها سابقاً (العلاقة، مثلاً، مع هيجل الذي قال عنه المنجز: "إن الرجل يحتاج إلى وقت طويل قبل أن يهضم، رسالة إلى ك. شميدت، 1-11-1891). أما بخصوص النواة أوبالاحرى الفاصل الذي يشكل المفهوم وآثار التناقض (اختلاف ونزاع...) فإن ما كتبته بيدولي بالغ الصراحة في هذا المجال.

■ ج - ل. هودبين: - ربما يتوضح معنى سؤالي إذا طرح في مجال أدقّ.
ج. سكاريتا: - في "الكلمة المهموسة" مثلاً نتحدث عن علاقة أرطوبالميتافيزيقا. وأنت تؤكد أن أرطوبيتطلب نسق الميتافيزيقا ويخلخله معاً، إنه يحطمه ويتجاوزه في ممارسته. ألا يدولك أن ممارسة الخلخله والتجاوز والهدم هذا راجع الى منطق التناقض وقد تخلص من استعمالاته التأملية؟

□ لمَ لا؟ فقط أن يكون مفهوم التناقض محدداً* بكل الاحتياطات النقدية اللازمة وتكون علاقته مع منطق هيجل واضحة. هذا الحكم متسرع بعض الشيء طبعاً.

(لقد خصصت الحديث عن التناقض والجدل من هذا المنظور في أحد نصوصي عن أرطو)*.

■ ج. ل. هذين: - بما أننا مطالبون بالحديث عن هيغل قد يكون الوقت ملائماً لطرح سؤال يتقاطع مع سؤال سابق حول ما يربط العمل بالنص "الأدبي"، أي بنوع خاص من ممارسة الدال. وأنا أفكر هنا بالخصوص في بحثك "البئر والهرم (مدخل الى سيمولوجيا هيغل)": إن ما يجعل نص هيغل ذا إغراء خاص هو أننا نجد فيه معاً تلك السبورة المتعلقة بـ "إعادة تملك المعنى" في أقصى درجات تعقدها الجدلي (وأنت تقول بخصوص ذلك: "هيغل آخر فيلسوف للكتاب")

وكذا تلك الممارسة المتعلقة بمنطق معين للدال والمتبهة لشكل كتابتها في اللغة وفي مسرح اللغة (وأنت تضيف: هيغل "أول مفكر للكتابة"). في علاقتك بهيغل إذن، ما الذي يدولك مرتبطاً بسبورة الجدل الهيجلي في حالته تلك؟ ما موقع الكتابة لدى هيغل؟ وإذا كنت تقيم بالعلاقة معه "تحويلاً جزئياً جذرياً" فهل تقوم به في أرضية خارجية (مع العلم أنه "أول مفكر للكتابة")، وإلا ما الذي يشكل بالنسبة لك، داخل الجدل الهيجلي، الجانب الذي سماه النص الماركسي "نواة عقلانية" للجدل الهيجلي؟

□ حتى أجيب عن سؤالك بشكل مباشر أقول: إن ذاك التحويل لا يتم في ميدان خارجي كلية وببساطة. إلا أن سؤالك شائك للغاية. لن ننتهي أبداً من قراءة وإعادة قراءة النص الهيجلي. وبشكل ما، فانا لا أقوم سوى بمحاولة توضيح موقعي من هذه النقطة اعتقد بالفعل أن نص هيغل متصدع بالضرورة وأنه يتجاوز ويخالف الانغلاق الدائري لتمثله. إنه غير قابل للاختزال إلى مضمون وحدات فلسفية philosophemes. وهو أيضاً ينتج ضرورة عملية جبارة للكتابة، أولبقة كتابة ينبغي فحص العلاقة الغريبة التي تقيمها مع المضمون الفلسفي وكذا الحركة التي بموجبها تتجاوز قصديته والتي بموجبها أيضاً تنقاد إلى المراوغة والاستدارة خارج هويتها لذاتها. وفي هذا المضمون يمكن العثور على إشارات هامة وإن غير كافية لدى فيورباخ الذي طرح على الأقل مشكلة هيغل ككاتب ومعه مشكل

التناقض (وتلك عبارته) بين كتابة هيجل و "نسقه". وهذا شيء لا يستطيع اللحظة الخوض فيه وأرجل ذلك لنص سيظهر لاحقاً.

إن كل هذه المسألة المتعلقة بـ "النواة العقلانية" (هل ينبغي صياغة هذه المسألة اليوم بمصطلحات من هذا القبيل؟ أشك في ذلك.) لا يمكنها التبلور بالفعل إلا مروراً وبشكل خاص بقراءة هيجل من طرف ماركس وأنجلز ولينين وتخصيصاً إلى "دفاثر حول الجدل" التي تستحق اهتماماً نصياً ونمطاً من القراءة خصوصيين لم يتما لحد الآن، فيما أصبحت ممكنين (وهذا هو منطلق نصك في النظرية الجامعة)* ونصوص سولرس وجلو كسمان حول لينين، وبصفة عامة أعمال مجموعة تيل كيل، وهي فرصة سنحت لي الآن لأذكر بما خصصته لتلك الأعمال منذ خمس أو ست سنوات من تضامن ومساندة لا يفتران). ما يعنيه لينين حين يكتب أمام ملفوظ هيجلي ما: "اقرأوا"؟ هل يعني بذلك: أولوا أم حولوا أم ترجموا أم أفهموا؟ ولتتابع أيضاً كل المجازات التي يحاول من خلالها لينين تحديد علاقة المادية الجدلية مع المنطق الهيجلي، وهي "مجازات" غير منسجمة فيما بينها للوهلة الأولى: عبقرية، إحساس، نسق، قلب، قطع الرأس، تطور تكويني أو عضوي، وأيضاً مجازات من قبيل: البذرة والبرعم. وإذا أخذناها في تتابعها فإن هذه المجازات تبدو ناقصة، إلا أنها في "تناقضها" النشيط تنتج أثراً مغايراً. وهناك مجازات أخرى أغفلنا التطرق إليها (30). ثم إن هذا الفيض المكتوب من الصور البلاغية الذي يحيلنا لوحده في بعض الأحيان إلى ما قبل هيجل والذي يحرك فينا صورة أخرى، يفتح أمامنا مهمة نظرية وعملية تتعلق بتحديد جديد للعلاقة بين المادية الجدلية والمنطق الهيجلي. إنها مهمة تساهم أيضاً في إعادة الفحص العام للفضاء التاريخي الذي أدعوه بتساهل فضاء ما بعد هيجل، كما تساهم أيضاً في بلورة تساؤلات جديدة حول الكتابة والكتابة الفلسفية ومسرح الكتابة والفلسفة. وهذا لا يمكنه أن يتم إلا بإعادة إدماج هذه النصوص في قوة كتابتها وطرح مشكل لغة لينين بخصوص المثال الذي يهمننا والحقل التاريخي الذي في إطاره كان يكتب ومشكل الوضعية الدقيقة والاستراتيجية السياسية اللتين تتنظمان وتشكلان نصوصه... الخ.

* جان لوي هودين، مقارنة أولى لمصطلح النص، *Theorie d'ensemble* منشورات سوي، 1968. (الترجم)

(30) "هوامش الفلسفة"، ص. 225 على الخصوص.

■ ج - ل. هُودِين: ها نحن منقادون بلا شك إلى طرح تساؤلات أخرى. خلال مسارك توصلت، من خلال قراءة نصوص ملازمي وأرطو وأيضاً عبر مجمل تنظيراتك، إلى الارتكاز على مفاهيم من قبل مفهوم الدال الذي اقترحه اللسانيات. وهو مفهوم أعدت إدماجه استراتيجياً في سلسلة أخرى (اختلاف / كتابة / أثر) وحددت علاقته بها كعلاقة تبعية. إنها تبعية مركبة، إذ يتم داخل نصوصك نفسها وسم سلسلة مغايرة لا تختزل (على الأقل في نظري) في السلسلة الأولى. إن الأمر يتعلق ببرانية ولا تجانسية الدليل (تحدث أيضاً عن الجسد و "كتابة الجسد") إزاء هذا الإمساك المباشر للمدلول في مجاورته المباشرة لذاته ولوعى معين حسب الموضوعة الكلاسيكية للميتافيزيقا. على هذه الشاكلة تضاف بالضرورة إلى موضوعة المغايرة كـ "إمكانية للمفاهيمية وللعملية والنظام المفاهيمي عامة" موضوعة أخرى تكون هذه "الإمكانية" بدورها محددة بها كإمكانية لا تحيل مطلقاً إلى أي أنا ego متعالية (وحدة "الأنا أفكر") وإنما على العكس من ذلك، كإمكانية تنتمي إلى برانية جذرية عن الذات. إن هذه الذات "لا تغدو ذاتاً متكلمة إلا بالتعامل مع نظام الاختلافات اللسانية" ولا تغدو دالا (عموماً يتم ذلك عبر الكلام أو أي دليل آخر) إلا بالانتماء إلى نظام الاختلافات؛ والحال أن هذه الاختلافات، كما تقول أيضاً، لم تمطرها السماء، فهي تنتمي إلى مجال فكري وذهني بقدر ما أنها ليست من متطلبات التفكير. إنها قد تكون "منذ البداية وكلية" اختلافات تاريخية، لو أن كلمة تاريخ لم تكن متضمنة للقمع النهائي للاختلاف.

هناك أسئلة عديدة تطرح نفسها:

أ) ماذا عن هذه الاختلافات التي لم "تمطرها - بالفعل - السماء؟ إذا اعتبرنا أن موضوعة اللاتجانس غير قابلة للتفكير تحت مقولة التباعد لوحدها، وإذا كانت هذه الموضوعة تتطلب لحظة مزدوجة (هي لحظة تناقض) للاختلاف (فراغ، تباعد) وموقع أخرى معينة؛ إذا كان الأمر كذلك فما يمكن أن تعينه "حركة اللعبة التي تعين الاختلافات من منظور" تاريخ "يرفض في نهاية المطاف كقمع نهائي للاختلاف؟ ألا يمكن الاعتقاد بأن هذه "الاختلافات"، باعتبارها هنا اختلافات لسانية ونماذج من الدال اللساني، ترجع دائماً إلى ما يسميه لآكان الرمزي، وبأنها لذلك ترتبط عضوياً وجوهرياً

(لا فقط بطريقة مصطنعة أو باعتبارها اشتقاقاً ظاهرياً من "مغايرة ما" أو "حركة لعبة تنتجها") مع الممارسة الاجتماعية في شكل أنماط إنتاجها الدالة وشكل لغاتها؟
 ب - عن ذلك ينتج السؤال الثاني: أية علاقة يمكن في نظرك أن تقوم بين إشكالية الكتابة كما حدّتها وإشكالية الدال كما طورها لآكان Jacques Lacan ويقوم فيها الدال "بتمثيل الذات إزاء دال آخر؟

□ بدءاً لا أتبين بوضوح لماذا لا تتماشى فكرة التباعد كما أمّارستها مع موضوعه اللاتجانس...

■ ج - ل. هودبين: لا، أنا لم أقل بهذا. ولذا أسمح لنفسي بإعادة صياغة السؤال: هل يغطّي مفهوم التباعد كلية موضوعه اللاتجانس؟ ألسنا مع الأخيرة والتباعد أمام لحظتين لا تطابق إحداهما الأخرى؟

□ طبعاً لا يعني هذان الوجهان من المسألة الشيء نفسه تماماً، لكنهما يظلمان بالرغم من ذلك غير قابلين إطلاقاً للفصل

■ ج - ل. هودبين: أنا متفق معك كل الاتفاق. فمؤدى سؤالي يؤكد أنهما مترابطان جدلياً أي تناقضياً.

□ إن التباعد لا يعين شيئاً، إنه لا يعين موجوداً ما أو حضوراً بعيداً. إنه إشارة إلى خارج غير قابل للاختزال، وفي الآن نفسه إلى حركة وانتقال يعين آخرية غير قابلة بدورها للاختزال. ولا أفهم كيف يمكن الفصل بين مفهومَي التباعد والآخرة.

■ ج - ل. هودبين: لكن أسمح لنفسي بتكرار ما يلي: ليس هدفي أبداً هو الفصل بين هذين المفهومين. إذا سمحت، سنبرز أثر هذه المسألة في حقل أكثر تخصصاً أشرت إليه في سؤال سابق، أعني حقل وضعية هذه الاختلافات "التي لم تظرها السماء"، هذه الاختلافات اللسانية...

□ لا يتعلق الأمر فقط بالاختلافات اللسانية.

■ ج - ل. هودبين: - فعلاً. إلا أن التباعد من حيث هو كذلك، أي في معناه الضيق، لا يمكنه في نظري أن يوضح لنا مثلاً نسق الاختلافات اللسانية التي تكون فيها ذات معينة مطالبةً بالتشكل.

- ليكن. من البديهي أن مفهوم التباعد لا يمكنه لوحده، شأنه شأن كل مفهوم، أن يفسر لنا شيئاً. فهو غير قادر على تفسير الاختلافات (والمختلفات) التي يفتح بينها تباعدٌ يحُدها. إننا سنضفي على هذا المفهوم وظيفةً لا هُوتيةً إذا نحن انتظرنا منه أن يقدم لنا مبدأً تفسيريّاً لكل الفضاءات ولكل المختلفات. أكيد أن التباعد يشتغل في كل الحقول إلا أنه يعمل فيها بالتحديد باعتبارها حقولاً مختلفة. أما عمليته فهي كل مرة مختلفة و متمفصلة بشكل مغاير (31).

أما الاستعمال الذي أقوم به أحياناً لمفهوم الدال فإنه أيضاً ملتبس وبشكل مقصود لأن الأمر يتعلق بتسجيل خطي مزدوج. إن البدء في التفكيك، باعتباره ليس قراراً إرادياً أو شروءاً مطلقاً، لا يمكن أن يتم في أي مكان ولا في خارج مطلق. وباعتباره بدءاً، فإنه بالضبط يظهر حسب علاقات قوى انفصالية يمكن تحديد مكانها في الخطاب موضوع التفكيك. فالتحديد الفضائي والتقني للأمكنة والمؤثرات الأكثر ضرورة (انطلاقات، إمساكات، رافعات...)، في وضعية معطاة، يرتبط بتحليل تاريخي معين. إن هذا التحليل يتم في الحركة العامة للحقل؛ ولذا فهو غير قابل أبداً للاستنزاف من طرف الحساب الواعي لـ "ذات" معينة.

من جهة يكون الدال مرتكزاً إيجابياً: هكذا، أعرف الكتابة كاستحالة توقف سلسلة ما عند مدلول لا يدفع بها إلى الحركة لأنه فقط في موقع إبدال دال. في هذا المرحلة من

(31) بعد إعادة قراءة هذا المقطع من الحوار انتهيت إلى أنني بهذا التدقيق "لا فقط لسانية" (هو ليس سوى تذكير بما الحجت عليه باستمرار) كنت قد أجبت مبدياً على مجمل سؤالهما الذي يفترض صراحة بأن الاختلافات هي "اختلافات وأنماط من الدال اللساني". مرة أخرى أدقق الأمر وأقول بأن التباعد مفهوم يتضمن بدوره، ولا يقتصر على ذلك، دلالة قوة منتجة إيجابية وتوليدية. وباعتباره تشتيماً أو مغايرة فإنه يحتوي على حافز تكويني. إنه ليس فقط الفاصل *intervalle* أو الفضاء الموجود بين شيئين (وهو المعنى العادي للكلمة) وإنما عملية *espacement*، أو على الأقل، حركة التباعد *ecartement*، وهذه الحركة لا يمكن فصلها عن التاجيل - التزمين ("انظر المغايرة") وعن الاختلاف وصراع القوى النشيطة داخلها. إنها حركة تسم ما يبعد عن الذات وتقاطع كل هوية لذاتها وكل انطواء لحظي على الذات، وكذا كل تجانس ذاتي وكل طوية ذاتية (انظر الصوت والظاهرة، ص. 96). لذا كنت لا أزال لا أفهم جيداً كيف ولماذا تصران على عزله عن موضوعه الآخر *teron*. أكيد أن هاتين الموضعيتين لا تتطابقان بشكل مطلق لكن لا يوجد مفهوم يتطابق مع آخر. طبعاً لو كنت كررت دائماً تعبير التباعد لوحده لكان معكم الحق. إلا أن إلحاحي على الآخر وعلى مفاهيم أخرى لا يقل حدة. فالتباعد يعني أيضاً وبالتأكيد استحالة اختزال السلسلة إلى إحدى حلقاتها أو تفضيل الواحدة على الأخرى. أخيراً يلزم أن أذكر بأن المغايرة ليست فقط جوهر أو علة قادرة على إلهاب انحراف ظاهراتي.

القلب نعارض بالجاح قطب الدال مع السلطة المهيمنة للمدلول . لكن هذا القلب الضروري بدوره ناقصٌ بالتأكيد . لقد أبرزتُ بشكل منتظم الحيلة التي بموجبها تقوم لفظة " الدال " بإعادتنا إلى الدائرة العقل مركزية أوسجنتنا فيها (32) أما الجانب الآخر من السؤال المتعلق بنص معب وخصوصي هونص لأنفسنا فساشرح وجهة نظري على الأقل بشكل سريع وبطريقة إيحائية وبرنامجية . هنا أيضاً ، سواء أعلق الأمر بالخطاب النفسي بصفة عامة أم بخطاب لا كان ، لا شيء يكون مُعطى أو معطى متناسقاً . أما مصطلح الدال فقد قلت لك سابقاً تصوّرني بخصوصه ، وهو تصوّر يمكن القول إنه ينطبق بالمثل على مصطلحات من قبيل التمثيل والذات وحتى نحدّد بدون إطالة (...) * وبدون لف ولا دوران مسألة لا يمكن تلخيصها في بعض الوحدات الاصطلاحية ، ولكي أقدم ما يمكن اعتباره " موقفي " في هذا الصدد ، لا مراء من التذكير أولاً أنه منذ " في علم الكتابة " (1967) و " فرويد ومسرح الكتابة " (1966) أكدت كلُ نصوصي " حملتها " أو بُعدها النفسي . إن هذا لا يعني أن النصوص السابقة لم تقم بذلك (" القوة والدلالة " ، " العنف والمتافيزيقا " ، " الكلمة المهموسة " ...) ، فهذه مسألة لا تني تطرح نفسها بشكل واضح وعياني وغير الترتيب الذي تقوم به داخل الكتابة وداخل التناظم المفاهيمي للفضاء والبياض المحددين للعبة واللذين يرفضهما التمهّل النظري المنتظر بين القضية النظرية للحرف وخصوصية كل نص (وهي قضية أضحت آنذاك من الفوران بمكان) من جهة وقضية التحليل النفسي من جهة ثانية . وأنا أحاولُ جاهدًا بخصوص هذا التمهّل الضروري - وهو شيء يمكن التأكد منه - أن أجعل ما اعتبره مقدمات نظرية وعملية جديدة لا تُغلّق مسبقاً الإشكالية ولا يتم جرّها إلى الغموض من طرف تفاعلات سريعة لا تملك وضعية نظرية صارمة . إنني أحاول أن أحافظ لها على الشكل الذي يُبقي لها على قيمتها إزاء النتائج السابقة . وهذه عملية تظل دائماً ممكنة ، لذا قلت : أحاولُ جاهدًا . إن هذه الخطأطة تنطبق أيضاً وبالمقابل على علاقة علم الكتابة بالماركسية . أما الهدف من الإطلاق العملي والنظري لهذه النماذج

(32) انظر مثلاً في علم الكتابة الفصل الأول (" البرنامج " ، " الدال والحقيقة ") وبإختصاص ص . 32 والهامش 9 . وكذلك التثيت ، ص . 284 ، و " السيمولوجيا وعلم الكتابة " ضمن هذا الكتاب . (م . ف)
 * حذفنا ما يلي سهلاً للترجمة ولأن هذا المقطع يلعب على المعنى المتعدد لكلمة واحدة : Point (النقطة) و faire le point تحديد وإجمال ، وذلك بهدف الإحالة : (و " المقاومة المزدوجة " تدرس بالتحديد النقطة و الطول و الإخصاء و التثيت و تحوّلها ...) (traite du) (الترجمة)

الجديدة للتمفصل، فهو تكسير انغلاق لا يزال مُحكماً جداً، أعني الانغلاق الذي يحمي مسألة الكتابة (بصفة عامة والكتابة الفلسفية والادبية بصفة خاصة) من التحليل النفسي وكذا الانغلاق الذي يُعْمِي باستمرار الخطاب النفسي عن رؤية بنية معينة من مسرح الكتابة.

حالياً وبخصوص ما انتظره، أرى برنامجاً للعمل يرتسم أمامي في مجال "التشتيت"، أي في النص الذي يحمل هذا العنوان والذي يمكن القول إنه يحمل كـ "موضوعات" عينية له مسألة العمود colonne والقطيعة والضربة coup والمهمل والإخفاء، وذلك في علاقتها بالإثنين deux وبالاربعة وبثالثات أوديب معين، وكذا في علاقتها بالنفي وبالوجود الحاضر est وبالحضور... إلخ، أي في علاقتها بمجموع القضايا التي حظيت باهتمامي في مقامات أخرى. إن ذلك البرنامج يرتسم أيضاً في "صيدلية أفلاطون" و"المقامة المزدوجة" بالخصوص في الهوامش: 8، 9، 10، 53، 55، 61... إلخ، وعملياً في النص بكامله. وكما يتبدى في هذه النصوص، وفي "الميثولوجيا البيضاء" - لمن يريد أن يقرأها - فإن العنوان الأكثر عمومية لهذا المشكل سيكون: الإخفاء والمحاكاة، وأحيل هنا إلى تلك التحليلات وإلى نتائجها. إن مفهوم الإخفاء يرتبط بالفعل، في هذا التحليل، ارتباطاً صميمياً بمفهوم التشتيت. إلا أن هذا الأخير يُمَوِّعُ ما يَقَاوِمُ كثيراً أو قليلاً - بل ما يتم مُقاومته من طرف - أثر الذاتية والتذيت subjectivation والتملك، أعني النفي والتسامي والمثلية والاستبطان والدلالة والسيرورة الدلالية semantisation والاستقلال الذاتي والقانون... إلخ، أي ما يسميه لآكان (وهنا أجيب عن سؤالك) نظام "الرمزي". إن مفهوم التشتيت يفلت من مفهوم الإخفاء ويخلخل نظامه، إنه يدفعه إلى الانزياح ويسميه بكتابته، مع كل المخاطر التي يستتبعها ذلك، وبدون أن يظل حبيس التصور الذي تقترحه مقولتنا "المتخيل" أو "الواقعي" re-el. من جهتي، لم أقتنع أبداً بهذا التقسيم الثلاثي للمصطلحات، إلا أن صحتها تظل على الأقل مُندمجة في النسقية التي وضعتها موضع تساؤل (33). إن التشتيت، إذا أردنا مساءلته من هذا الجانب، ليس فقط الامكانية التي

(١١) يدعوني سؤالكما حول "ما ينهته لآكان بالرمزي" إلى جواب عام وتفسير مبني، ولكن بما أن المجال لا يسمح بذلك، وبما أنني قبلت للمرة الأولى قانون المحاوراة ونمط التصريح فتأتي لن أقلت من ذلك. وأنا أعلم من جهة أخرى أن بعض اصدقائي، وأحياناً لأسباب متناقضة، أسفوا لحياذي بخصوص هذا الموضوع، لذا أقدم جوابي بشكل

بموجبها ينشطر الوَسْمُ (انظر لعبة هذه الكلمة الاكلينيكية [se de liter] في "صيدلية أفلاطون والتشتيت" و "المقامة المزدوجة"). إنه ليس فقط أيضاً القوة، أي قوة التكرار، والآلية والإبعاد التي تمكنه من قطع الرابط مع وحدة دال لا يكون بدونه، والتي تمكنه من ثم من

عام. في الدعوى التي نشرت لاحقاً الآن يبدو غياب الإحالة للأكان Lacan شبه كلي بالفعل. إن هذا لا يتبرر فقط - بدءاً من نشر في علم الكتابة في مجلة نقد Cinq (1965) - يكون لأكان قد ضاعف ضدي اعتدائه الهادفة إلى الاحتواء بشكل مباشر أو غير مباشر، بصراحة أو بشكل خفي أو خلال دروسه. فابتداءً من هذا التاريخ وعبر القراءة وقفت بنفسي على تلك الاعتداءات في كل كتابة له تقريباً. إن تلك الأفعال تحجب كل مرة على الخطاطة الاستدلالية التي حلَّها فرويد بنفسه والتي بنيت (في علم الكتابة* و صيدلية أفلاطون* و "البشر والهرم") أنها تعبر دائماً عن المحاكمة التقليدية للكتابة. إنه الدليل المسمى دليل القدر chandron الذي يراكم لحاجة قضية ما التوكيدات المتنافرة: (1. الخط من قيمة نصوصي مع الرفض المطلق: "إن هذا لا قيمة له" أو "أنا لست متفقاً". 2 - إعطاء قيمة معينة لها مع الرغبة في الاحتواء: "ثم إن هذا يعود لي وقد صرحت بذلك دائماً). إن تشنج الخطاب هذا - والذي أسفت له - لم يكن خالياً من المعنى، بل إنه كان يستدعي أيضاً إنصافاً صامتاً. ولم يكن لي أن ألتزم بالصمت لـ لم يكن ذلك يعود لأسباب ذات طبيعة تاريخية نظرية (وهو ما يخالف الحالة الفاصرة التي تحدث عنها أنفاً). إنه تذكير مجمل إذن.

في الوقت الذي نشرت فيه كتاباتي الأولى، لم تكن "كتابات" لأكان قد جمعت ونُشرت بعد. وفي وقت "في علم الكتابة" و "فرويد ومسرح الكتابة" (1965)، لم أكن قرأت لأكان سوى "وظيفة ومجال الكلام واللغة في التحليل النفسي" و "محفل الحرف في اللاوعي، أو العقل منذ فرويد" (تم الاستشهاد به في "الكلمة المهموسة، نشرت سنة 1966 ضمن كتابات منشورات سوي، المترجم"). وبما أنني كنت متيقناً من أهمية إشكالية الكتابة في التحليل النفسي

فقد وضعت اليد على جملة من الموضوعات الأساسية التي جعلت التحليل النفسي يظل دون مستوى الأسئلة النقدية التي كنت بصدد صياغتها في هذا الحقل العقل مركزي أو بالأحرى ذي النزعة الصوتية والذي كنت أرمي إلى تحديده. من بين هذه الموضوعات: 1- غائية "الكلام الممتلئ" في ارتباطها الجوهرية (وأحياناً في آثارها التطابقية الصارخة) مع الحقيقة الكبرى Verité. ولنا أن نقرأ هنا في سعة أصدائه، الفصل المتعلق بـ "الكلام الفارغ والكلام الممتلئ" في التحقيق النفسي للذات: "لكن جازمين، إن التحديد النفسي لسوابق المريض لا يتعلق بمسألة الواقع وإنما بالحقيقة. ذلك أن ترتيب الظروف الماضية بمنحها مدلول الضرورة المستقبلية - بالشكل الذي تصوِّرها الحرية الدنيا التي عبرها تستحضرها الذات - يكون نتيجة للكلام الممتلئ" (ص. 265)، "ولادة الحقيقة في الكلام"، حقيقة هذا التصريح في "الكلام الحاضر" (نفس المرجع)، وهناك جمل عديدة من هذا النوع. ورغم التريعات التضمينية فإنني لم ألق منذ تلك القراءة تساؤلاً صارماً حول الحقيقة في مجالها التاريخي والمعماري الأكثر ملاءمة. والحال أن هذا التساؤل النقدي، وبالضبط هو ما يربط بين الكلام الممتلئ والحقيقة والحضور (انظر من ضمن ما يمكن الرجوع إليه: في علم الكتابة، ص. 18)، هو ما كنت أمارسه آنذاك بشكل معين.

2- تحت بإظفة العودة إلى فرويد تمت عودة جماعية إلى المفاهيمية الهيغيلية (بالأخص مفاهيمية فينومولوجيا الروح في شكلها الأسلوبية الأصلي وبدون مفصلتها مع نسق "المنطق" أو "السيمانيات" الهيغيلية) وإلى المفاهيمية الهيدجيرية (خاصة للحقيقة aletheia في تحديدها كـ "تجلى"، كحجب / كشف) وللحضور ووجود الوجود وإلى الكائن الحاضر هنا Dasein وقد أصبح ذاتاً (ص. 318). ساكون آخر من يعتبر هذه العودة نكوصاً في ذاته، إلا أن غياب أي تفسير نظري ونسقي لهذه الاستيرادات (ولأخرى غيرها) بدا لي بعض الأحيان ينم عن تلك السهولة الفلسفية التي أدانها لأكان في نهاية "دائرة الحرف في اللاوعي" تمثياً مع موقف فرويد في هذا المجال. أما تصريح

تفجير هذا الرابط *agraphe* وحل علاقة الأبوة الرمزية هذه. إن التشبث أيضاً إمكانية تفكيك لأن هذا هو المفتاح العام للتفكيك النظري (العملي الذي لا يتم اختراعه بين عشية وضحاها)، أو إذا شئنا إمكانية فتح *de couvrir* (وهو الفتح الداخلي *de couvrir en* - في "صيدلية

=

لا كان في ما بعد بأن أصبحنا نشطاً من فيمولوجيا الروح له طابع تعليمي أو أن الاصطلاحات المأخوذة باستمرار من الفينومولوجيا المتعالية لهوسرل ("البن ذاتية" مثلاً) يلزم تلقياً بنوع من الاختزال أو تعليق الحكم "epoche"، فإن حلّها لثل المشكلات في جملة واحدة يبدو لي مدهشاً جداً. والحال أنني، سواء في دروسي أو منشوراتي آنذاك، كنت أسأل بوضوح ومن المنظور النقدي الذي تعرفانه السقراطية لهوسرل وهيجل وهايدجر. وانطلاقاً من احتساب خطواتهم المنهجية أدركت أنه من المتعذر تمثلهم بذلك الشكل. ونفس الأمر ينطبق على فرويد.

3 - وجود إحالة نشيطة إلى سلطة الصوتيات وبالأخص اللسانيات 3- وجود إحالة نشيطة إلى سلطة الصوتيات وبالأخص اللسانيات السوسيرية. إنه العمل الأكثر خصوصية للأكان الذي انطلق فيه من الدليل واشتغل حوله. ومع المؤديات والنتائج التي تعرفانها فإن الكتابة، في نقطة الانغلاق التي تستلطن فيها، تُحال إلى نسق للانصات للقول يسهر عليه "الصوت بحيث تكون الكتابة استجابة له وحضراً فيه. إنها تأخذ طابعاً صوتياً لأنها دائماً ذات وحداث صوتية وذات طابع صوتي بمجرد ما تتم قراءتها." (كتابات 1، ص. 470) والحال أنني كنت بصدد بلورة بطارية من الأسئلة النقدية بخصوص هذا الموضوع وضمنه آثار النزعة الصوتية في حقل التحليل النفسي، وأيضاً بخصوص تعقيدات العلم الفرويدي في هذا المجال.

4 - وجود اهتمام أكيد بالحرف والمكتوب لدى فرويد بدون وجود تساؤل خصوصي يتعلق بمفهوم الكتابة كما حاولت استخلاصه آنذاك والذي يهم المعارضات والصراعات التي كان من اللازم استقراؤها ("فرويد ومسرح الكتابة". الترجمة). وسأعود بعد لحظة إلى الشكل الحاسم لـ "لادب". ساقفز هنا على إحياء الخطاب وعلى علامات إعادة إدماج "الدال" والتحليل النفسي عموماً في فضاء ميتافيزيقا جديدة (مهما كانت الأهمية التي تحتفظ بها من حيث هي كذلك) وفي فضاء حددته آنذاك تحت اسم المركزية العقلية وبشكل خاص تحت اسم المركزية الصوتية. ساقفز أيضاً على سمات عديدة كانت تبدو لي - طبعاً بطريقة معقدة وأحياناً متناقضة - أنها تزرع العمل اللاكائي في الإرث الفلسفي لما بعد الحرب (هناك أشياء كثيرة يمكن قراءتها من هذا المنظور. لتابع أيضاً المفردات الآتية: "وجود" "أصلي"، "حقيقي" و "ممتلئ")، وسيكون ضرباً من العبث أن نرى في هذه السمات تحديداً ظرفياً أو شخصياً، فالضرورة التاريخية التي تفصح عنها غير قابلة للشك. إنني ببساطة، وفي التاريخ الذي تحدث عنه، كنت أدرك - ومعني آخرون - وجود قضايا مستعجلة أخرى. أقفز أيضاً وأخيراً على بلاغة وأسلوب لأن كان. فنتائج الرائعة أحياناً والمفارقة أحياناً أخرى (بالعلاقة مع البرنامج و "التقدم" للذين حكما تلك المرحلة)، والتي لا أقول عنها إنها كانت غير ملائمة لزمناها، كانت محكومة بتأخر معين، وهو ما كان يمنع ذاك الأسلوب وبدون شك ضرورة معينة (أشير هنا إلى ما كان يدفع إلى تعامل معين مع المؤسسة النفسانية المشككة آنذاك، وهذا هو الدليل الذي يقدمه لأن كان). لقد كنت أقرأ في ذاك الأسلوب، وبالعلاقة مع الصعوبات النظرية التي تهمني، كونه بالخصوص فتاً للمدارة *esquive*. فحيوية التضمينات كانت تبدو لي في الغالب مستخدمة لتضاد أو لتغليب مشاكل متنوعة (والمثال الأكثر دلالة على ذلك هو التمثيل في الخدعة الجمالية ذات الطابع "الجناسي" التي تمكن من إسكات الصعوبة التاريخية النظرية المتعلقة بتحديد الحقيقة كملامة للذات وكعملية ذهنية بالشكل الذي تتحكم به في "الشيء الفرويدي" (ص ص 420 و 434)، والتي نساءل - لغيباب أي تفسير للمساءلة - حسب أي نظام هي تعاش مع الحقيقة ككشف، أي حضور؛ هذه الحقيقة التي تنظم كل الكتابات *Écrits*)، اعترف أن ذلك يفترض كثيراً من الوضوح الفكري في تمديد الصعوبات والمخاطر. بل إن ذلك قد يكون لحظة ضرورية في تمحيص إشكالية جديدة، فقط أن لا تغرق الإدارة في التأمل، وإن لا نترك أنفسنا نسقط ضحايااً للتمثيل المل الذي يأخذ شكل الاستعراض

=

أفلاطون ") النظم الرمزي في بنيتة العامة وفي الاشكال العامة والمحددة للمجتمع والعائلة أو الثقافة . إنه العنف العلمي للكتابة التشبثية والخرق الواسم لـ "الرمزي" . فهل ترجع إمكانية فوضى الرمزي الناتجة عن قوة خارجية - وكل ما يقوى الرمزي إلى المتخيل

والدعاوة . إنني مفتتح بان هذه الحفطات ، بالرغم من انها تظل بعيدة عن أن تمثل عمل لأن كان بكامله ، كانت مهمة جداً بحيث جعلتني لا أبحث عن مرجع يأخذ شكل الضمانة داخل خطاب جد مختلف ، بخصوص هذه النقطة الأساسية ، عن النصوص التي افترحتها سواء في صياغته اللغوية أم في مجاله وأهدافه . إن مراجع من ذلك النوع كانت ستفضي إلى زيادة الغموض في حقل لم يسلم منه . إنها كانت ربما ستفضي إلى إمكانية اتصال صارم قابل للبناء مستقبلاً . هل كان ينبغي ، بالمقابل ، التصريح كلية بالاختلاف والدخول في نقاش علمي ؟ إضافة إلى أن جدول هذه النقاشات كان يبدو لي في مقدماته منشوراً (ومتوفراً لمن أراد قراءته والتكفل به) ، فإن ذلك التصريح لم يكن يبدو لي في ذلك التاريخ شيئاً ملائماً وذلك لأسباب عديدة : 1 - بما أن مجمل الكتابات نشرت في الفاصل بين ذلك التاريخ والأن فلم يكن عليّ فقط قراءتها وإنما أيضاً ، واعتباراً لما قلته حول البلاغة اللاكائية ، الدخول في عمل بدأ لي متجاوزاً لكل حد إذاً قرن بما كانت تتيحه لي كتاباتي الأولى (فانا اقرأ عبر الكتابة : ببطء متلذذ بتقديم مسهب لكل كلمة) . أكيد أن ذلك ليس بسبب كاف للتخلي عن النقاش الصريح ، إلا أنه كاف كي يجعلني أفضل الإجابة خلال مدة (اتحدث هنا عن زمن قصير : ثلاث أو أربع سنوات) على متطلبات اعتبرتها أكثر استعجالاً وأسبقية ، على الأقل من وجهة نظري . 2 - لو كانت لي اعتراضات أقولها (لكن النقاش لا يأخذ بالضرورة شكل الاختلاف وإنما قد يفضي إلى التخلي عن النقاش وإلى تحول معقد) فاني كنت أعرف مسبقاً أنها ستكون مختلفة كل الاختلاف عن تلك التي كانت تُداول في تلك اللحظة . وهنا كانت أيضاً نتائجه تبدو لي - رغم ما صرحت به آنفاً - ضرورية داخل كل حقل (وهذا ما جعلني أقوم بكل المستطاع من أجل ألا يتم توقيف دروس لأن كان في المدرسة العليا) . كما أحيل هنا أيضاً إلى ما قلته في مكان آخر حول الإلحاحية والفاصل والملا تساوي في التطور . 3 - في هذا الفاصل أيضاً ، ارتأيت أن أفضل مساهمة أو " تفسير " نظري سيكون في متابعة عملي حسب الطرق والضرورات الخصوصية التي تجعل من هذا العمل يقترب أو لا يقترب - تبعاً لمُحاور معينة - من عمل لأن كان . وليس من المستبعد أن يتم هذا التقارب بشكل أكبر اليوم . منذ ذلك الوقت أعدت قراءة النصين المنشورين لأن كان وقرأت نصوصاً أخرى أظن أنها متضمنة كلها في الكتابات . وقد تأكدت قراءتي الأولى بشكل كبير في جوانبها الأساسية ، وبالأخص - حتى أسترجع نقطة ستبدو لكم أهميتها القصوى - ما يتعلق بتطابقية الحقيقة كـ " كشف " والكلام (كلام اللوغوس) . فقد تم تحديد الحقيقة في انفصالها عن المعرفة ، بشكل دائم كتجمل وك لا حجاب ، أي بالضرورة كحضور ، كعرض للحاضر ، كـ " وجود للموجود " ، أو بشكل أكثر هيدجيرية كوحدة بين الحجب والكشف . إن الاحالة لنتاج الخطرات الهيدجيرية تأتي غالباً واضحة بهذا الشكل (الغموض الجذري الذي يعين فيه هيدجر أن الحقيقة تعني التجلي " ، هذا الولع بالكشف والذي يكون موضوع الحقيقة ... الخ) . وأن يكون المدلول النهائي لهذا الكلام أو لذلك اللوغوس مطروحاً كنقص (كلا موجود وكثاب ...) فإن هذا لن يغير شيئاً من هذا الاستيعاء ، ويظل ذلك المدلول هيدجيراً كلية . وإذا كان من الضروري التذكير بأنه لا وجود للغة واصفة (أو بالأحرى لا وجود لخارج النص hors - texte) إلا بوجود زاوية معينة للملاحظة ، انظر في علم الكتابة ، ص 227 وما يتبعها ، فإنه لا ينبغي أن ننسى أن الميتافيزيقا والوجود اللاهوتي الأكثر كلاسية يمكنهما التكيف مع تلك الطروحات خصوصاً حين تأخذ شكل " أنا الحقيقة أنكلم " أو " لهذا فالأنا وعي الذي يقول ذلك بشكل حقيقي يكون مبنياً كاللغة " إنني لن أقول

أوبالاحرى إلى " واقع " يتم تحديده كشيء مُستحيل؟ هل ترجع إلى السكيزوفرنيا ام إلى العُصاب؟ وفي هذه الحالة ما النتائج التي ينبغي استخلاصها؟⁽³⁴⁾ هذه الانفتاح هوما يهمني تحت عنوان التشثيت .

هذا لا يعني أن " الرمزي " (حتى أستمر في استخدام كلمة يتركني اختيارها في حيرة

طبعاً إن ذلك خاطيء . فقط أكرر ان الاسئلة التي طرحتُ تتعلق بضرورة ومسلمات ذاك الاستيعاء وتلك الاستمرارية . ثم اني ابديتُ اهتماماً كبيراً * بالحلقة الدراسية الخاصة بالرسالة المسروقة * . إنه مسار رائع ، أقول ذلك بدون اية عُرْفِيَّة . ولأن لاكان كان جد متسرع ليجد فيها التعبير عن 'حقيقة معينة' ، فإنه تجاهل - كما يبدو لي - خريطة اشتغالٍ وتخييلية نصٍ إدجار آلان بُو وترابطاته مع نصوص أخرى ، أي أنه تجاهل قوة مسرح كتابة تلعبُ فيه . وليس نص لاكان ، أو أي نصٍ عدها ، مغلقاً تجاه هذه القوة وحداثها ، التي لا يمكن أن توازيها أو تكشف عنها أية حقيقة ناضجة . إنها الهجانة التي تحدثتُ عنها في البداية . والمسألة لا تتعلق بالتعبير عنها بعلامات أو بان يكون النص مفتوحاً أو مغلقاً إزاءها أو بالحديث عنها كثيراً أو قليلاً ، وإنما بمعرفة كيف وإلى أي حد يمكن تسيير وضبط تلك المسرحة والنتائج المترتبة عنها . إنها قراءة تقليدية للغاية لنص إدجار الان بُو ، وفي نهاية المطاف قراءة هيرمينوسية (دلالية) ، وشكلانية (حسب الخطاطة المتقدمة في " المقامة المزروجة " والتي الملحن إليها سالفاً) . ذلك ما ساحول التدليل عليه عبر تحليل مثنانٍ للنصين سائقن من تحقيقه في عمل قيد الاعداد وقمتما تسنى لي ذلك . وإذا كان هذا التجاهل مُنتجاً في سياقات أخرى فإنه يبدو مقيداً جداً بالحدود التي أثرتها ، للحظة ، تحت اسم المركزية - العقلية (لوعوس ، " كلام حقيقي " ، الحقيقة كتعارض بين الحجاب والكشف) ، ثم إنه ليس أساساً تجاهلاً لـ " لاذني " (رغم كون هذا الأخير في نظري اختباراً خصباً وناجعاً بالأخص في فك (رموز الخطاب اللاكاني) . إن الامر لا يتعلق هنا أيضاً بحماية الأدبي من فضول التحليل النفسي . قد يكون العكس هو الأصح . إنها حيلة تلعن عنها الكتابة غالباً باسم " الأدب " أو " الفن " ، إلا أنها حيلة لا يمكنها أن تتحدد إلا انطلاقاً من تفكيك عام يقاوم (أو يخضع لمقاومة) لا التحليل النفسي عموماً وإنما قدرة معينة . وملاءمة معينة للمفاهيم النسائية التي تقيسها فيها في لحظة معينة من تطورها . من هذا المنظور تكتسب بعض النصوص " الأدبية " قدرة " تحليلية " وتفكيكية أقوى من بعض الخطابات النسائية التي تطبق عليها جهازها النظري الذي تقوم عليه " الحلقة الدراسية الخاصة بالرسالة المسروقة " (وانتما تعرفان المكانة المرموقة التي يمنحها لاكان لها في بداية الكتابات) بنص إدجار الان بُو ونصوص أخرى لا ريب .

لاقت عند هذا الحد واطرك هذا الهامش للحركات المتعددة التي اصبح برنامجها اليوم معروفا تقريبا .

(34) ألم اشر هنا إلى عنصر إجابة عن سؤالكما الأخير ، حسب ما سميتاه حركته النجمية ؟

أحدد بكلمة واحدة باننا سنكون مضطرين - إلا إذا اتفقنا على أن ذلك وجه من وجوه التشثيت - إلى أن نجعل من " الرمزي " ومن الثالث : متخيل / رمزي / واقع ، الجانب القار من بنية متعالية أو اونطولوجية (انظر بهذا الصدد ، " في علم الكتابة ، ص . 90) .

إن هذه القضايا المتعلقة بالتحليل النفسي مترابطة ، نظراً وفعلاً ، مع " التجربة " و " الممارسة " التحليلية ، وهو شيء يعترف به غالباً المحللون النفسانيون ؛ كما أنها مترابطة مع الشروط التاريخية والسياسية والاقتصادية لتلك الممارسة ، وهو ما يلحُ عليه نادرا المحللون النفسانيون . وعن "نواة" الوضعية التحليلية" فإن جميع الارتيازات (البروتوكولات) لا تبدو لي مقدسة ومكتسبة أو معطاة بشكل لا رجعة فيه وذات ضمانات " عملية " . أما اتهام التحليل النفسي الأمريكي (من طرف لاكان) ، فإنه لا يلزم أن يستحيل إلى ترف جذ فعال . إن هذه المسألة مربكة للغاية ، إلا أنها ستخضع في معطياتها إلى تحول تاريخي حتمي .

دائمة) لا يشكل بالفعل أوانه لا يُشكّل صلابة نظام معين (هو أيضاً نظامُ الفلسفة) وأنه ليس مدعواً بنسبياً إلى التشكّل وإعادة التشكّل الدائم (كلغة وكقانون، كثالوث علاقة بين الذوات، كجدلية علاقة بين الذوات، وكحقيقة صارخة ...) . إنما يشير التشثيتُ إلى ما لا ينصاعُ للاندماج فيه بمقدار ما لا يشكل بالنسبة له البرانية البسيطة التي تظهر بصيغة الفشل أو المستحيل (كان مُتخيلاً أو واقعياً)؛ هذا بالرغم من أنه من الأفضل لنا، إذا انطلقنا من الداخل المغلق لـ "الرمزي"، من الانصياع لتأثير تشابه التشثيت الملغَم مع المتخيل والواقعي . إن ما نُخطئه آنذاك لن يكون التخيل *fiction* (وهو مفهوم لا يزال بحاجة للتحليل) وإنما السيمُولَاكْرُ باعتباره بُنيةً ازدواج تلعب داخل المَراوِي وتضاعف العلاقة الثنائية وتوقف بشكل أكثر فعالية "واقعية" المَراوِي *speculaire* (وهو مفهوم يتطلب إعادة النظر) أو الخاص *propre* و"الرمزي" معاً . إن الرمزي مُطالبٌ بعدم الاستسلام للجمود داخل إشكالية للكلام أو الكذب والحقيقة، وذلك هو العنف الفعلي والآثار اللاواعية للسمُولَاكْرُ . وبشكل مُختصر فإن التشثيت يُجسّد ما لا يعود للأب وما يوجد في الإخصاب أوفي الإخصاء . حَاولاً أن تُتابعاً هذه الجملة في كل دوراتها، وفي مساركما ستعثران على الحد الفاصل بين التعدد الدلالي والتثثيت (وتلك هي السمة) . وتفقدان الحد الفاصل بين التعدد الدلالي والتثثيت (وذاك هو الهامش) .

ليس معنى أن نكتب (التثثيت) هو أن نأخذ الإخصاء بعين الاعتبار ومعه كل نسقه - تبعاً للعملية الجبرية التي ذكّرنا بها آنفاً - وذلك عبر المراهنة بموقعه كمدلول أودال متعال (إذ يوجد أيضاً دالٌ متعال كالقضيبي *phallus* ، كمرادف لمدلول أول، وكالإخصاء والرغبة في الام)؟ ليست الكتابة أيضاً تشكيكاً في الإخصاء من حيث هو المرجع الأخير لكل عملية نصية ولكل حقيقة مركزية كما لكل تعريف دلالي ممتلى غير قابل للفصل عن هذا الفراغ المُولّد (المشتت) الذي يغامر النصُ داخله؟ إن التشثيت يؤكد (ولا أقول يُنتج أو يشكل) الاستبدال اللانهائي، إنه لا يوقف اللعبة ولا يُراقبها ("إخصاء - دائم اللعب ... (35) . فهو يقوم بفعل التوكيد مع كل ما يستتبع ذلك من مخاطر، لكن دون أن يُمرّ الرطانة الميتافيزيقية والرومانسية للنفي . التشثيت "هو" تلك الزاوية من لعبة الإخصاء

التي لا تعني، والتي لا تنصاع للتشكُّل كدالٍ والتي لا تُعرَضُ نفسها بمقدار ما لا تمثل نفسها، ولا تكشف عن نفسها بمقدار ما لا تخفي نفسها. وهذا هو ما سمَّتهُ خَطِيَّةُ graphique المهبل الذي لم يعد على مقاس المتعارضة: حجاب / عراء (36).

■ ج. سكاربيتا: أريدُ أن أَطْلُبَ منك أن تَدُلَّنَا على العلاقة التي تُقيمها بين التشنيت و غريزة الموت.

□ إنها علاقة ضرورية جدًّا. فابتداءً من فيما وراء مبدأ اللذة وكذا الغرابة المقلقة Das Unheimliche لُفْرُويد (ذي المسار البالغ التعقيد) وكل النصوص السابقة أو اللاحقة التي تربط بها، بدأ يتأسس منطقٌ جديدٌ يبدو أنه يناقض من مناحي عديدة، أو على الأقل يُعَقِّد، الخطاب الواضح لفرويد حول الأدب والفن. لقد أحلتُ باستمرار إلى "غريزة الموت" وإلى تصور معين للثنائية والتكرار، وكذا إلى النصين المذكورين، وذلك بالخصوص في "المقامة المزدوجة" و "المغايرة" La différence. إن كل هذا يستدعي بلورةً - هي محط اشتغالي حاليًا - تربط بين مفهوم جديد للتكرار يعمل وإن بشكل متقطع لدى فُرويد من جهة، وبين قيمة المحاكاة mimesis (لا قيمة نزعة المحاكاة والتشثيل والتعبير والتصوير والتقليد... الخ)، من جهة أخرى.

■ ج. سكاربيتا: يقودنا هذا إلى صياغة سؤال آخر حول ما يمكن تسميته "ذات الكتابة": أنت تقرر مثلاً أن "ذات الكتابة" لا توجد إذا نحن عنيًا بها ذاتا - سيده (لنفسها)، وأن ما يلزم فهمه من "ذات الكتابة" هو نسق من العلاقات القائمة بين شرائح النص نفسه. تبعاً لذلك كيف يمكننا إعادة طرح مشكل "ذات الكتابة" انطلاقاً من مفهوم التشنيت وما يتمفصل معه، أي من العلاقة الجدلية بين التسامي وغريزة الموت؟

□ كما ذُكِرْتُ بذلك لم أقلُ أبداً بعدم وجود "ذات الكتابة" (37)، كما لم أقل أبداً بعدم وجود الذات. فبعد التساؤلات التي طُرحت بخصوص محاضرة الاختلاف (38)،

(36) نفس المرجع، ص. 293.

(37) "إن ذات الكتابة لا توجد إذا كنا نعني بها التوحد المتعالي للكاتب. فذات الكتابة نسق من العلاقات والشرائح: من الدفتر السحري إلى الجانب النفسي إلى المجتمع والعالم. ودخل هذا المشهد تكون البساطة اللغوية للذات غير موجودة قطعاً". الكتابة والاختلاف، ص. 335. (م. ف)

(38) نقاش منشور بمجلة الجمعية الفرنسية للفلسفة (يناير 1968).

أَفْضَى بِي الْأَمْرُ إِلَى أَنْ أَذْكُرَ غَوْلِدَمَانَ، الَّذِي كَانَ قَلْقاً بِصَدِّ الدَّاتِ وَمَعْرِفَةِ مَكَانِ وَجُودِهَا، بِمَوْقِفِي ذَلِكَ. إِنْ الْمَطْلُوبُ هُوَ إِعَادَةُ النَّظَرِ فِي نَتِيجَةِ الدَّاتِيَةِ بِالشَّكْلِ الَّذِي تُنْتِجُهُ بَنِيَةُ النَّصِّ، وَإِعَادَةُ النَّظَرِ فِيمَا سَمِيتُهُ مِنْذُ قَلِيلٍ بِالنَّصِّ الْعَامِ فِي كَلِيَّتِهِ لَا النَّصِّ اللَّسَانِي وَحْدَهُ. وَلَا أَشْكُ فِي أَنْ هَذَا الْأَثَرُ مَرْتَبَطٌ حَمِيمِيًّا بِعَلَاقَةٍ مُعَيَّنَةٍ بَيْنَ التَّسَامِي وَغَرِيزَةِ الْمَوْتِ وَبِحَرَكَةِ إِبْطَانٍ / مُثْلِيهِ / نَفْيٍ / تَسَامٍ... الخ، مَرْتَبَطٌ مِنْ ثَمَّ بِنَوْعٍ مِنَ الْكَبْتِ.

وَسَيَكُونُ مِنَ الْغَبَاءِ تَجَاهِلُ، أَوْ بِالْأَحْرَى تَقْرِيرُ، "إِدَانَةُ" أَخْلَاقِيَّةٍ أَوْ سِيَاسِيَّةٍ لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ، إِذْ بَدَوْنَهَا - وَبِدُونِ حَرَكَاتٍ أُخْرَى - لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَثَرٌ أَوْ ذَاتٌ أَوْ "تَارِيخٌ" أَوْ "مُسْتَوًى رَمْزِيٌّ"... يَنْبَغِي إِذَنْ إِعَادَةُ فَحْصِ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ كُلِّهَا فِي الصُّورَةِ التَّدْرِيجِيَّةِ لِتَسْلُسُلِهَا الْمُنطَقِيَّ لَا فِي هَوِيَّتِهَا أَوْ غِطَائِهَا. وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ ارْتِجَالاً أَنْ أَضِيفَ شَيْئاً إِلَّا إِذَا وَضَحْتُ سَوَالِكَ أَكْثَرِ.

■ ج. سَكَارِبِيْتَا - أَمِنْ الْوَاجِبِ مِثْلَاقُ قَبُولِ وَجُودِ هَوِيَّةٍ سَحِيْقَةٍ بَيْنَ "ذَاتِ الْكِتَابَةِ" وَمَا يَدْعُوهُ لَكَاَنَّ "ذَاتاً" بِاعْتِبَارِهَا "أَثَرٌ لِلدَّالِّ" وَتَنَاجُاً لَطَوِيَّةً الدَّالِّ، أَمْ أَنْ هَٰذِينَ الْمَصْطَلِحِينَ قَابِلَانِ، عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، لِلْقَاءِ؟

□ هُنَاكَ بِالضَّرُورَةِ عِلَاقَةٌ بَيْنَ هَٰذِينَ التَّحْدِيدِيْنَ لـ "لذات". وَلِتَحْلِيلِهِمَا يَلْزَمُنَا فِي كُلِّ الْإِحْوَالِ أَنْ نَأْخُذَ بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ مَا قَبِلَ سَابِقاً حَوْلَ التَّشْتِيْتِ وَ"الرَّمْزِيِّ" وَحَوْلِ الْحَرْفِ الدَّالِّ...

■ ج - ل. هُوْدْبِيْن : سَوَالٌ أَخِيْرًا إِذَا سَمَحْتَ، وَبِمُفْصَلٍ حَوْلِ التَّطَوُّرِ الْعَامِ لِأَعْمَالِكَ. فَفِي أَحَدِ أَوَائِلِ نَصُوصِكَ الْمُنْشُورَةِ : "فَرْوِيْدَ وَمُسْرَحُ الْكِتَابَةِ" (1966)، وَعَبْرَ رَفْضِ الْإِدْعَاءَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِسُوسْيُولُوجِيَا الْأَدَبِ - وَنَحْنُ نَتَّفَقُ مَعَكَ فِي ذَلِكَ - كَتَبْتَ بِأَنَّ "اجْتِمَاعِيَّةَ socialite الْكِتَابَةِ بِاعْتِبَارِهَا مَأْسَاءٌ تَتَطَلَّبُ عِلْماً مُغَايِراً".

كَيْفَ تُحَدِّدُ الْيَوْمَ هَذَا الْمُبْحَثَ الْعِلْمِيَّ الْمَغَايِرَ؟ وَأَيَّةُ عِلَاقَةٍ تُرْبِطُ هَذَا الْأَخِيْرَ مَعَ السِّمِّيَّاتِ وَالتَّحْلِيلِ السِّمِّيَّائِيِّ لِكْرِيسْطُفَا الَّذِيْنَ يَبْنِيَانِ تَطَوُّرَهُمَا عَلَى قَاعِدَةٍ مُنْطَقِيَّةٍ جَدْلِيَّةٍ مَادِيَّةٍ؟ وَهَذَا يَعْنِي بِالضَّرُورَةِ وَفِي نَفْسِ الْخَطِّ طَرَحَ مَسْأَلَةِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ "مَفْهُومِ" الْكِتَابَةِ وَالْمَفْهُومِ الْمَارْكَسِيِّ لِلْمُمَارَسَةِ وَبِالْأَخْصِ الْمُمَارَسَةِ الدَّالَّةِ، بِالشَّكْلِ الَّذِي تَبْلُورَتْ بِهِ كَمَوْضُوعٍ لِلْمَعْرِفَةِ وَالتَّحْلِيلِ السِّمِّيَّائِيِّ عَلَى قَاعِدَةٍ جَدْلِيَّةٍ مَادِيَّةٍ، وَبِاعْتِبَارِ هَذِهِ الْجَدْلِيَّةِ

المادية تتحدد أيضا انطلاقا من تدخل ضروري للتحليل النفسي بمجرد ما يتعلق الأمر بحقل الممارسات الدالة .

لكن من الأكيد أيضا الحديث عن عودة النص الحديث لهذه العمليات التحليلية نفسها وعمّا ينتج داخل هذه الممارسة النصية المعاصرة من تجاوزٍ بالعلاقة مع منطق علمي معين للمعرفة .

أما الجانب النهائي من السؤال والذي يمكن أن يفتح أمامنا خلاصة مؤقتة لهذا اللقاء فهو كالتالي : كيف تتصور اليوم هذه السيرة العامة التي يصعب جداً تفكيرها في غير صورتها كعملية تناقضية وجدلية ؟ وكيف تتصور فعاليتها على الساحة الإيديولوجية الراهنة، وما يمكن تحويله داخل تلك السيرة وما مستقبلها وحدودها الممكنة ؟

□ تتضمن الجملة التي جاءت على لسانك كلمة مأساة *drame* ، وهي استشهاد كما اعترفت بذلك . إنه استشهاد مزدوج .

لننتقل مثلاً من مفهوم الممارسة . فلنكي أحدد الكتابة والحرف والاختلاف والنص . . . الخ ألححت دائماً على قيمة الممارسة *praxis* هذه . لذا فحيثما تبلور ، من هذا المنظور ، نظرية عامة وممارسة نظرية عامة " للممارسة الدالة " أجدني متفقاً مع هذه المهمة العامة بالشكل الذي حددتها به . وأنا أظن أنك تحيل هنا إلى أعمال جوليا كريستيفا .

من البديهي أيضاً وفي حقل تفكيرك المتعارضات الفلسفية أن نبدأ بتحليل المتعارضة : ممارسة / نظرية وأن نتخلص نهائياً من تحكمها في تصورنا للممارسة . ولهذا السبب أيضاً لا يمكن أن يكون التفكير المنهجي عملية نظرية أوسلبية محضة ؛ إذ يلزم الحرص على ألا يتم استقطاب قيمة " الممارسة " مرة أخرى .

والآن ما يمكن أن تكون " فعالية " هذا العمل وهذه الممارسة التفكيرية بكاملها في " الساحة الإيديولوجية الراهنة " ؟ لا يمكنني هنا سوى إعطاء جواب مبدئي وتوضيح نقطة واحدة بالخصوص . بيدوان هذا العمل يأخذ منطلقه في حقول محدودة ومحددة كحقول " للاديولوجيا " (الفلسفة ، العلم ، الأدب . . .) . وإذن ، فلا مجال لأن ننتظر منه فعالية تاريخية عارمة أوفعالية عامة مباشرة . فالفعالية حتى تكون أكيدة ، لا بد من أن تظل محدودة ومتأزرة ، متمفصلة ومتباعدة حسب الشبكات المعقدة لعملها . لكن ، على العكس من ذلك ، فإن ما يتم حالياً إعادة النظر فيه هو شكل الانغلاق الذي نسميه " إيديولوجيا

"(وهو مفهوم يلزم تحليله بدون شك في وظيفته وتاريخه وأصله وتحولاته) وأيضاً شكلُ العلاقة بين مفهوم متغير لـ "لبنية التحتية" الذي لن يكون نصُّ العام ابداً " أثراً "أو" انعكاساً" (١٣) من جهة ومفهوم متغير للـ "إيديولوجي" من جهة ثانية . وإذا كنا نقوم في هذا العمل بتحديد جديد لعلاقة نص معين، أو سلسلة دالة، مع خارجها وآثار مرجعها، أي مع "الواقع" (التاريخ، الصراع الطبقي، علاقات الإنتاج...) فإننا لا يلزم أن نكتفي بالتحديدات القديمة بل حتى بالمفهوم القديم للتحديد الجهوي . إن ما يحدث داخل التقويض الحالي هو إعادة تقويم العلاقة بين النص العام وما كان يُعتقد أنه ببساطة الخارج المرجعي للغة أو الكتابة (وذلك في شكل الواقع التاريخي والاقتصادي والجنسي...)، فهذا الخارج يظل ببساطة في موقع السبب أو العَرَض . أما المظاهر "الجهوية" لهذا التقويض فتمتلك في نفس الوقت انفتاحاً غير جهوي . إنها تهدم حدودها الخاصة وتنحو إلى التمثيل مع المسرح العام للكتابة وذلك حسب أشكال جديدة وبدون أي ادعاء للاكتمال .

39) "والحال أننا نعرف أن هذه التبادلات لا تمر إلا من خلال اللسان والنص، بالمعنى المادي الذي نعطيه لهذه الكلمة " . في علم الكتابة، ص . 234 . (م . ف)

مؤلفات جاك دريدا التي تدور حولها الحوارات :

- 1) La Voix et le phénomène, P.U.F, 1967.
- 2) L'Ecriture et la différence, Seuil, 1967.
- 3) De la grammatologie, Minuit, 1972.
- 4) Marges de la philosophie, Minuit, 1972.

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

فهرس

5 تقديم
9 مؤديات
21 السيمولوجيا و علم الكتابة
39 مواقع

دار توبقال للنشر تختار لك كتباً أنت بحاجة إليها

صدر

□ المعرفة الفلسفية :

- حوار فلسفي
- محمد وقيدي
- درس الإيستيمولوجيا (ط. ثانية)
- عبد السلام بنعبد العالي وسالم يفوت
- الممتن الرشدي، مدخل لقراءة جديدة
- جمال الدين العلوي
- التراث والهوية في الفكر الفلسفي في المغرب
- عبد السلام بنعبد العالي
- دروس في تاريخ الفلسفة
- د. نجيب بلدي
- أعدھا للنشر: الطاهر وعزيز وكمال عبد اللطيف
- ورقات عن فلسفات إسلامية
- محمد عزيز الحبابي
- جينياالوجيا المعرفة
- ميشيل فوكو / ترجمة: أحمد السطاتي و ع. بنعبد العالي
- الكتابة والاختلاف
- جاك دريدا / ترجمة: كاظم جهاد
- الواحد والوحدة
- أبو نصر الفارابي / تحقيق د. محسن مهدي
- نظريات العلم
- آلان شالمرز / ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد الصفا
- أسس الفكر الفلسفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقا
- عبد السلام بنعبد العالي
- دفاتر فلسفية
- إعداد عبد السلام بنعبد العالي ومحمد سبيلا
- الطبيعة
- الحقيقة

مطبعة فضالة
المحمدية - المغرب

إن تساؤلات دريدا تبدأ دائماً من موقع الهامش، أو مما يُعتبر كذلك لا لتعيده - عبر التحليل - إلى موقع المركز، وإنما لتجعل منه موقعاً ممكناً للكتابة وفضاء فعلياً للنص والتفكير. وبهذا المعنى فإن الحوارات التي يتضمنها هذا الكتاب تقترح نفسها كهوامش تطرح قضايا ونصوصاً هي بدورها جاءت لتكون هوامش للقراءة على نصوص أخرى (لافلاطون وروسو وهيغل وهيدجر وأرطو وباطاي...) إن هذه السلسلة المحكمة الترابط تمكن الهامش من أن يكون منغرساً في صلب القضايا الأساسية التي ينهض عليها الفكر في الغرب، ونصاً متداخلاً مع أشكال كتابته ("أدبا" و"فلسفة" و"بلاغة"...).